الوحدة
AL-WAHDAH
www.itfjournals.com

العدد: ٣٨٠ - ايار ٢٠٢٣

الحج و معالم الحضارة الاسلامية المعاصرة

مناسك الحج الابراهيمي والارتقاء بدور المسلمين على الصعيد العالمي

الحج ودوره في التجسيد الواقعي للتقريب بين المذاهب الاسلامية

أثر الحج في تقدم المجتمعات الإسلامية وتطورها الأخلاقي والإنساني

لبنان	LL6000	الامارات العربية	AED25.00	قطر	QR 20.00	كندا	CAD 3.00	تركيا	YTL 5.50
سوريا	SYP200.00	المملكة العربية السعودية	SAR 20.00	عمان	RO 20.00	العراق	D 4 50	امريكا	USD 3.00
الكويت	KD 2،000	السودان	S1.22	المملكة المتحدة	S1.22	تونس	DT 4،000	ماليزيا	MYR 4،000

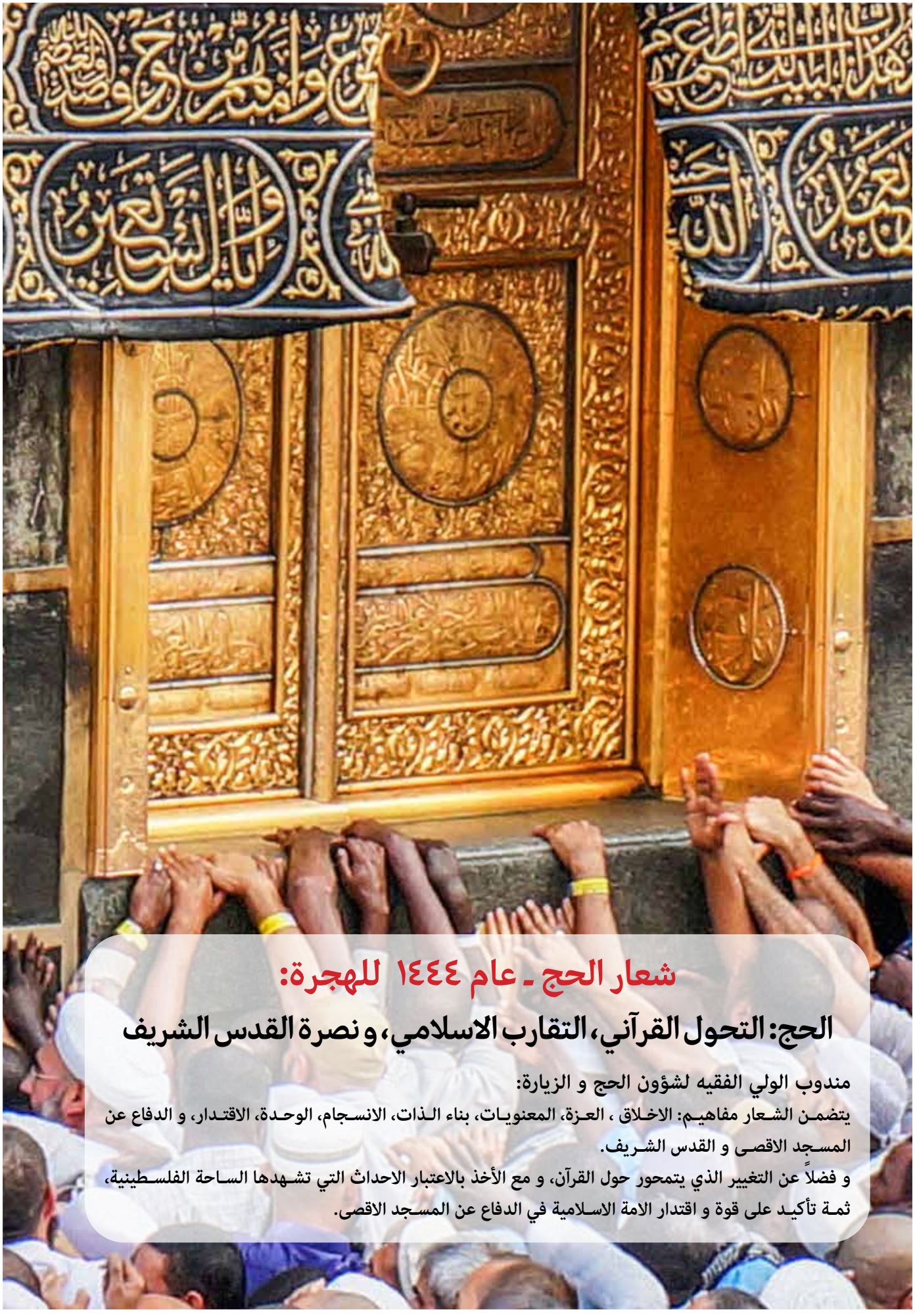

شعار الحج ـ عام ١٤٤٤ للهجرة:

الحج: التحول القرآني، التقارب الاسلامي، و نصرة القدس الشريف

مندوب الولي الفقيه لشؤون الحج و الزيارة:

يتضمن الشعار مفاهيم: الاخلاق ، العزة، المعنويات، بناء الذات، الانسجام، الوحدة، الاقتدار، و الدفاع عن المسجد الاقصى و القدس الشريف.

و فضلاً عن التغيير الذي يتمحور حول القرآن، و مع الأخذ بالاعتبار الاحداث التي تشهدها الساحة الفلسطينية، ثمة تأكيد على قوة و اقتدار الامة الاسلامية في الدفاع عن المسجد الاقصى.

بسم الله الرحمن الرحيم

الوحدة
AL-WAHDAH

العدد: ٣٨٠ - ايار ٢٠٢٣

الحج و معالم الحضارة الاسلامية المعاصرة | محمد اسدي موحد ٤

الحجّ في كلام الإمام الخميني قدس سره ٦

الحج قضية عالمية وحضارية تهدف إلى ارتقاء الأمة الإسلامية واتحادها مقابل الكفر والاستكبار ٨

مناسك الحج الابراهيمي والارتقاء بدور المسلمين على الصعيد العالمي | حجة الاسلام و المسلمين سيد عبدالفتاح نواب ١٠

الحج الابراهيمي مؤتمر عالمي لتمرين الانسان على محورية الاخلاق والتسامح | الدكتور محمد مهدي ايماني بور ١٢

الجمهورية الاسلامية ومفهوم السيادة الشعبية الدينية | الدكتور منصور ميراحمدي ١٤

البعد العرفاني والتربوي والعبادي للحج ١٦

الحج ودوره في التجسيد الواقعي للتقريب بين المذاهب الاسلامية | الدكتور محمد هادى فلاح زاده ٢٠

الحج في مواجهة أخطار الإنعزال الإجتماعي | زهير الأعرجي ٢٣

الحج في نهج البلاغة | الشيخ فارس حسون ٢٦

الحج الإبراهيمي ودوره في الحضارة الإسلامية الحديثة ٢٨

التعليم والتعلم في الحج الإبراهيمي | مجتبى حيدري ٣١

دور الحج في الوحدة الإسلامية ٣٤

فلسفة الحج بين العبودية والتسليم | داود الحسيني ٣٦

الثقافة والتبادل الثقافي في الحج | حافظ نجفي ٣٨

معالم الحج و آفاقه في القرآن و مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) | السيد منذر الحكيم ٤٢

المدير المسؤول:
محمد أسدي موحد
Assadi101@yahoo.com

رئيس التحرير:
حسين سرور
حسين حجتي

هيئة التحرير:
علي حسين، منير مسعودي

المدير التنفيذي: مريم حمزه‌لو
المدير الفني: اميد بهزادي

ملاحظـــة:
ما ينشـر في المجلة لا يعبر بالضـــرورة عـــن رأي المؤسسة

الهاتف:
٠٠٩٨٢١٨٨٩٣٤٣٠٢
٠٠٩٨٢١٨٨٩٣٤٣٠٣
الفاكس:
٠٠٩٨٨٨٩٠٢٧٢٥
web site: www.alhoda.ir
www.itfjournals.com
www.alwahdah.itfjournals.com

بمشاركة و دعم بعثة الحج الايرانية
معاونية الشؤون الدولية
دائرة العلاقات الخارجية

الحج ومعالم الحضارة الاسلامية المعاصرة

بقلم: محمد اسدي موحد

بسم الله الرحمن الرحيم

ارتبط الحج بتاريخ حياة الانسان منذ قديم الزمان. وبحسب النص القرآني، الكعبة اول بيت وضع للناس. و منذ اليوم الاول لحياة الانسان، كانت الكعبة محور شعائر الموحدين وانبياء الله بدءً بآدم عليه السلام و انتهاء بالخاتم (صلى الله عليه و آله)، حيث كانوا يتوجهون الى هذه الديار للطواف حول الكعبة و اداء شعائر الحج ..

ومن الواضح ان الحج شكل احدى مراحل الاسلام التكاملية، وان الانسان الموحّد ونتيجة للقيام بذلك وادائه بصدق واخلاص، ينال مقام القرب الالهي.. وتتجلى اهمية الحج بإعتباره احد اركان الاسلام الخمسة حسبما أفادت الروايات. ولهذا يضطلع الحج بدور هام ومصيري في حياة الفرد والمجتمع الاسلامي، نظراً لآثاره وانعكاساته. ذلك ان الحج عبارة عن عهد الهي خاص بالنسبة للعباد، و مدعاة لتبلور حقائق الاسلام و تعاليمه.

واذا ما اردنا بيان هدف الحج في كلمة واحدة، فلابد من القول ان الهدف من الحج هو القرب من الحق تعالى، واكتساب الصبغة الربانية، والمضي في الحياة وفقاً لإرادة الله تعالى، و نيل سعادة الدنيا و نعيم الآخرة كما تقول الرواية.

وبتفصيل اكثر، ان ثمرة الحج على الصعيد الفردي تتجلى في العفو، والتقوى، والتحول الروحي والاخلاقي. ذلك ان الانسان عندما يتوجه الى ديار الوحي بوعي و معرفة، و يتجنب بوحي من طهارة النفس، الدنس والرذيلة والتدني الخلقي، يحيا حياة جديدة مستلهمة من سيرة ابراهيم الخليل (ع)، و رسول الله (ص)، و ائمة البقيع (ع)، والصديقة الزهراء البتول (ع)؛ ناهيك عن انتقال هذا التحول الروحي و الاخلاقي الى الآخرين ايضاً.

كما ان للحج ابعاد سياسية و اجتماعية و بركات كثيرة بالنسبة للامة الاسلامية، حيث يعكس تضامن المسلمين وتعاضدهم، ويلفت الى قوتهم واقتدارهم. فاذا ما استغل موسم الحج بشكل سليم، فان بوسع علماء البلدان الاسلامية ومفكريها و نخبها المتميزة، الجلوس الى بعضهم في موسم الحج ومناقشة احوال المسلمين و التحديات التي تواجه المجتمعات الاسلامية و البحث عن حلول لها. فاذا ما حدث ذلك، فليس ثمة حاجة لأن يلجأ المسلمون الى المنظمات الدولية ـ التي يهيمن عليها الغرب والاستكبارالعالمي ـ و مطالبتها بالبحث عن حلول لمشكلات بلدانهم والحد من معاناتهم.

و مما يجدر ذكره هو ان القرآن الكريم عندما يقول في الآية ٢٧ من سورة الحج: «وَأَذِّنْ

فـي النَّـاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُـوكَ رِجَالًا وَعَلَـىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِيـنَ مِـنْ كُلِّ فَـجٍّ عَمِيـقٍ»، فان الآيـة المباركة تتحـدث عـن منافـع و ليسـت منفعـة واحـدة. ومعنـى ذلـك هـو اذا مـا تـم اداء مناسـك الحج بشـكل سـليم و كمـا ينبغـي، فـان ثمـة منافـع كثيـرة سـوف تنـال الامـة الاسـلامية سـواء علـى المسـتوى الفـردي، والاخلاقـي، والاجتماعـي، والاقتصـادي، والسياسـي، والعسـكري.

و نظـراً لأن الحـج عبـادة جامعـة، يترتـب عليها تحـول و تغييـر فـي كافـة الشـؤون الاخلاقيـة و السـلوكية و الاجتماعيـة بالنسـبة للحجـاج ؛ و مـع الاخـذ بالاعتبـار ان الكعبـة والحـج عمومـاً (هـدى للعالميـن)، و ان شـعاع الاسـلام النورانـي ينطلـق مـن هنـاك ليعم العالم بأسـره ؛ لـذا نسـتطيع ان نعـي فحوى افاضات سـماحة القائـد المعظـم بقولـه : اذا ما ادرك المسـلمون الـى جـوار بيـت اللـه الحـرام معنـى الاسـلام الحقيقـي و الحـج الابراهيمـي، فـان بوسـعهم البرمجـة و التخطيـط جيـداً لإرسـاء اسـس الحضـارة الاسـلامية المعاصـرة، و المضـي قدمـاً فـي تحقيقهـا.

و لا يخفـى ان تعاليـم القـرآن السـامية، بمـا فـي ذلـك تقويـة الايمـان، و التحلـي بالعلـم و الخلـق الاسـلامي، ومقارعـة الظلـم، و التصدي للفسـاد والضيـاع، وإقامـة الحكـم الدينـي الشـعبي، والاهتمام بالعقـل الجمعي، و تعزيز التعاضـد و التضامـن، والاهتمـام بالتعقـل والعقلانيـة، والتقـدم العلمـي، والتنميـة الاقتصاديـة، و الاحتفـاظ بعلاقـات دوليـة قويـة ومسـتحكمة، كل ذلـك يشـكل معالـم الحضـارة الاسـلامية المعاصـرة. وان بوسـع الحـاج التعـرف أكثرعلـى القـرآن والاسـلام و ترسـيخ مبادئـه الايمانيـة و الاخلاقيـة أثنـاء تواجـده فـي الحرميـن الشـريفين، والاعـلان عـن برائتـه مـن المشـركين و الظالميـن، و الاسـتلهام مـن شـعائر الحـج ومناسـكه للمضي قدمـاً فـي تحقيـق التقـدم العلمـي، والتنميـة الاقتصاديـة، و تعزيز عزة و عظمة المسـلمين، و بكلمـة واحـدة، المضـي بخطـوات واثقـة و فاعلـة علـى طريـق قيـام الحضـارة الاسـلامية المعاصـرة المنشـودة.

الحج في كلام الإمام الخميني قدس سره

دعا الإمام الخميني قدس سره إلى فهم أبعاد الحجّ الإبراهيمي للاستفادة منها فقال قدس سره:
"إنّ على المسلمين الذين يحملون رسالة الله تعالى أن يستفيدوا من المحتوى السياسي والاجتماعي للحجّ إضافة إلى محتواه العبادي، ولا يكتفوا بالمظهر الخارجي".

١- البعد المعنوي

وركّز الإمام قدس سره في توجيهاته على البعد المعنوي قائلاً: "إنّ البعد السياسي والاجتماعي للحجّ لا يتحقّق إلاّ بعد أن يتحقّق البعد المعنوي". وفي هذا ألفت الإمام إلى ضرورة التنبه إلى أن الحج هو سفر إلى الله تعالى ووفادة إليه. فقال قدس سره: "إن سفركم الذي يبدأ من حين التهيؤ هو وفادة إلى الله، سفر إلى الله... في الميقات الذي تذهبون إليه تلبون فيه نداء الله، وتقولون لبيك اللهم لبيك، يعني أنت تدعونا ونحن نجيب الدعوة، معاذ الله أن تقوموا بعمل لا يرضاه الله تبارك وتعالى... هذا السفر سفر إلى الله، وليس سفراً إلى الدنيا، فلا تلوِّثوه بها".

ودعا الإمام قدس سره إلى ضرورة الإخلاص في هذه الفريضة المباركة قائلاً: "إن أهم الأمور في جميع العبادات هو الإخلاص في العمل... ولينتبه الحجاج المحترمون وليواظبوا على عدم إشراك غير الله في أعمالهم، إن الجهات المعنوية للحج كثيرة، والمهم أن يعرف الحاج إلى أين يذهب؟ ودعوة من يلبي؟ وأنه ضيف من؟ وما هي آداب هذه الضيافة... وليعلم أن الغرور والنظرة الذاتية لا يجتمعان مع حبِّ الله وطلبه، ويتناقضان مع الهجرة إلى الله، وبالتالي تكونان سبباً لنقص معنويات الحج، وإذا ما تحققت هذه الجهة المعنوية والعرفانية للإنسان، وإذا ما تحققت لبيك صادقة، مقرونة بنداء الحق تعالى، حينها ينتظر الإنسان في جميع الميادين السياسية والاجتماعية والثقافية، وحتى العسكرية، ومثل هذا الإنسان لن يعرف الهزيمة".

وذكر الإمام الخميني قدس سره إن هذا البعد المعنوي للحج يتوقف على أدائه صحيحاً على طبق الشريعة المقدسة فقال: "إن المراتب المعنوية للحج هي رأسمال الحياة الخالدة وتقرُّب الإنسان من أفق التوحيد والتنزيه، وسوف لن نحصل على النتيجة ما لم ننفذ أحكام وقوانين الحج العبادية بشكل صحيح ولائق وشعرة بشعرة".

٢- البعد الاجتماعي

وتحدَّث الإمام الراحل قدس سره عن البعد الاجتماعي للحج قائلاً: "إن إحدى الفلسفات الاجتماعية لهذا التجمع العظيم من جميع أنحاء العالم توثيق عرى الوحدة بين أتباع نبي الإسلام، أتباع القرآن الكريم في مقابل طواغيت العالم، وإذا لا سمح الله أوجد بعض الحجاج من خلال أعمالهم خللاً في هذه الوحدة أدَّت إلى التفرقة، فذلك سيوجب سخط رسول الله، وعذاب القادر الجبار".

٣- البعد السياسي

وعنه قال الإمام الراحل قدس سره: " إن إحدى أكبر فلسفات الحج هي البعد السياسي الذي تسعى أيادي الجناة لاقتلاعه".

وفي تفصيل بيان هذا البعد قال الإمام قدس سره: هذا البيت شيِّد للناس لأجل نهضة الناس، نهضة الجميع، ولأجل منافع الناس، وأيُّ نفع أعظم وأعلى من جعل أيادي جبابرة العالم، وظلمة العالم مكفوفة عن تسلطها على الدول المظلومة..

أن يتحد المسلمون في ذلك المكان دون تكلف مع الوافدين بدون حلق الرأس أفضل آلاف المرات من تزيين الكعبة ورفع بنائها العظيم، والغفلة عن الهدف الأصلي الذي هو نهوض الناس وشهود منافع الناس..

إن رجم العقبات هو رجم شياطين الإنس والجن، أنتم برجمكم تعاهدون الله على أن تطردوا شياطين الإنس والقوى العظمى من بلادكم الإسلامية، اليومَ العالم الإسلامي أسير بيد أمريكا، أنتم تحملون رسالة من الله لأجل جميع المسلمين في القارات المختلفة من العالم، رسالة تؤكد إن العبودية إنما هي لله وحده، ولا يمكن أن تكون لأي شخص آخر..

إن فريضة الحج التي هي "لبيك" بحق وهجرة إلى الله إنما هي بركة إبراهيم عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وآله وسلّم بمعنى لا لجميع الأصنام والطواغيت والشياطين وأبنائهم، وأي صنم أكبر من الشيطان الأكبر أمريكا ناهبة العالم.. إن إعلان البراءة من المشركين تعتبر من الأركان التوحيدية، والواجبات السياسية للحج، فحاشا أن يتحقق إخلاص الموحدين في جهنم بغير إظهار السخط على المشركين والمنافقين..

الإمام الخامنئي في لقاء مع القيمين على شؤون الحج

الحج قضية عالمية وحضارية تهدف إلى ارتقاء الأمة الإسلامية واتحادها مقابل الكفر والاستكبار

التقى القيّمون على شؤون الحج في جمهورية إيران الإسلامية، صباح اليوم الأربعاء ٢٠٢٣/٥/١٧، بالإمام الخامنئي في حسينيّة الإمام الخميني (قده). وتحدّث قائد الثورة الإسلاميّة خلال اللقاء عن كون الحج قضية عالمية وحضارية تهدف إلى ارتقاء الأمة الإسلامية واتحادها مقابل الكفر والاستكبار، ولفت إلى أنّ الإسلام يرفض في الحج التمايزات العرقية والجغرافيّة في العالم على عكس ما يجري في الدول الغربيّة التي تدّعي الحضارة.

قال الإمام الخامنئي إن النظرة الصحيحة إلى الحج وفهم أهمية هذه الفريضة أمران في غاية الأهمية، مضيفاً: «الحج قضية عالمية وحضارية هدفها ارتقاء الأمة الإسلامية وتقريب قلوب المسلمين وتوحيد الأمة الإسلامية أمام الكفر والظلم والاستكبار والأصنام البشرية وغير البشرية».

وأكد الإمام الخامنئي حضور الحجاج الإيرانيين في صلوات الجماعة في المسجد الحرام ومسجد النبي (ص)، والتواصل والتحدث مع الحجاج الآخرين. وقال: «قراءة دعاء كميل جماعة أمر حسن للغاية، وينبغي أن تستمر الحركة العظيمة للبراءة من المشركين أيضاً، فهي من القابليات الواسعة والعميقة للحج».

واستند سماحته إلى آيات قرآنية ليقول إن الكعبة مصدر قيام المجتمعات البشرية وقوامها. وبالإشارة إلى الفوائد الدنيوية والأخروية لهذه الفريضة العظيمة، قال: «إذا لم يكن الحج فسوف تتلاشى الأمة الإسلامية». كما عدّ الحج ميقاتاً دولياً وميعاداً عالمياً، قائلاً: «دعوة آحاد البشر في التاريخ كله للحضور في مكان معين وفي أيام معينة أيضاً تُبيّن الأهداف المهمة والفوائد الكثيرة في هذه الدعوة الإلهية».

ورأى قائد الثورة الإسلامية أن وحدة الأمة الإسلامية ومواجهة الشياطين المستكبرين من جملة هذه الأهداف. وتابع: «من جملة الفوائد الدنيوية المتعددة للحج أن يعلن المسلمون في هذا الاجتماع العظيم الحضورَ والقوةَ أمام الكيان الصهيوني ونفوذ القوى الاستكبارية، وأن يتأهبوا بصدورهم مقابل الظالمين في العالم».

وعدّ سماحته النظرة العالمية والعابرة للحدود إلى الحج قضية أساسية. وقال: «أيام الحج فرصة مغتنمة للتعرف إلى الشعوب والقضايا العالمية حتى لا تُبعد الأخبار الكاذبة لوسائل الإعلام ووكالات الأنباء الكذّابة الناس عن حقائق العالم وتُضللهم». كذلك، رأى أن الجهل بالعالم يؤدي إلى هلاك أي مجتمع. وأضاف: «كما قيل مرات كثيرة، يجب على آحاد الناس والمسؤولين أن يأخذوا المعرفة بأهداف العدو وأساليبه وسياساته ونقاط قوته وضعفه على محمل الجد تماماً، وإذا حدث ذلك، فلن تُخدع البلاد، وقد جرى طبعاً خداعها في بعض الحالات».

الإمام الخامنئي شرح في هذا الصدد: «إذا كنا ملتفتين إلى القضايا العالمية، نستطيع أن ندرك الهدف الحقيقي للعدو وسبب إصراره على بعض القضايا. فكما الحال في كثير من القضايا، كان المسؤولون متنبهين وتصرفوا بأسلوب صحيح، وكان هذا التقدم الجيدّ للغاية لإيران في القضايا الإقليمية والعالمية، الأمر الذي أغضب أمريكا نتيجة هذه النباهة».

في الوقت نفسه، رأى سماحته التجلّي العملي لرفض الإسلام التمايزات الجغرافية والعرقية والطبقية وغيرها من بين النقاط الأساسية لفريضة الحج. وقال: «لا تزال الدول التي تدعي التحضّر، والتي لم تلفحها رائحة الحضارة حقاً، عالقة في قضايا العرق الأسمر والأبيض، والعرق الأوروبي وغير الأوروبي، وتكّن لحيواناتها الأليفة قيمة أكبر بمراتب لما تكنّه لبعض البشر، فغرق المهاجرين المتواصل في البحر هو دلالة على هذه الحقيقة».

في جزء آخر من حديثه، عدّ قائد الثورة الإسلامية انسجام جميع الحجاج وتساويهم بغض النظر من أي عرق وتاريخ وثقافة هم ضمن أسرار الحج. وفوق ذلك، قال إن انتصار الثورة الإسلامية أدى إلى معرفة وإحياء نسبيين لقابليات الحج. واستدرك: «لا بد من السعي إلى إحياء كل هذه القابليات وتوظيفها في مسار تحقيق أهداف الحج الرئيسية».

في بداية هذا اللقاء، شرح ممثل الولي الفقيه في أمور الحج والزيارة، حجة الإسلام والمسلمين السيد عبد الفتاح نواب، أبعاد شعار الحجاج الإيرانيين للحج هذا العام الذي يحمل عنوان: «الحج: تحوّل قرآني وتقارب إسلامي ودعم القدس الشريف».

مناسك الحج الابراهيمي والارتقاء بدور المسلمين على الصعيد العالمي

■ **حجة الاسلام والمسلمين سيد عبدالفتاح نواب**

تعد مناسك الحج احد اكبر العبادات على الصعيد العالمي. وفي هذه العبادة العظيمة يلتقي المسلمون من شتى بقاع العالم لاداء شعائر واعمال خاصة. ويتم اداء ذلك بناء على اوامر الله تعالى التي نصت: «وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً» (الحج/ ٩٧). حيث يجتمع المسلمون من مختلف البلدان في ارض الوحي، والقيام باداء مناسك الحج الابراهيمي الى جانب العبادات الاخرى، والتحلي بالنور الرباني والمعنويات والاجر الآخروي، ونيل منافع وفوائد دنيوية كثيرة: " وأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ " (الحج/ ٢٧-٢٨). و من منافع الحج التي تحظى بأهمية حياتية بالنسبة للمسلمين، البعد السياسي للحج. وبالنسبة للنظام الدولي، يشكل المسلمون اليوم ـ باعتبارهم احد التجمعات الانسانية الكبرى ـ عشرات البلدان يزيد عدد سكانها على

المليار والنصف مليار نسمة. ومن الطبيعي ان المسلمين بهذا التعداد العظيم والاستحواذ على موارد وثروات طبيعية ضخمة، الى جانب تمتعهم بتعاليم الاسلام العظيم التي تبعث على الحياة، من الطبيعي ان يتطلعوا الى الاستحواذ على مكانة تليق بهم، والاضطلاع بدور يتناسب مع واقعهم في عالم اليوم. ولا يخفى ان الارتقاء بمكانة المسلمين ومنزلتهم في عالم اليوم أمر في غاية الاهمية، ويستوجب الاستفادة من محاورالقوة المتعددة التي يتمتعون بها. والحج هو احد هذه المحاور. إذ باستطاعة مناسك الحج توفير مستلزمات الارتقاء بمنزلة المسلمين عالمياً من خلال طرق متعددة نحاول فيما يلي الاشارة الى ابرزها:

الحج وتقوية التضامن الاجتماعي

التضامن والانسجام الاجتماعي عبارة عن الشعور بتوحد افراد المجتمع، والتحلي بعلاقات اجتماعية ودية وحميمة، وتعاطي جماعي على اساس المبادىء والقيم المشتركة والمنسجمة. ولا يخفى ان قوام كل مجتمع وتحركه في مسار متسامي مدين لعوامل متعددة. والامة الاسلامية، ونظراً لتعدد القوميات، والاعراق، والجغرافيا، والثقافات، والعادات والتقاليد، فمن الطبيعي ان تكون عرضة للانشقاق والانقسام. ولا شك ان تنامي الاختلافات يطعن بمنزلة الامة الاسلامية ويزلزل عظمتها. وفي هذا الصدد بوسع مناسك الحج الاضطلاع بدور هام ومؤثر في تعزيزانسجام المجتمع الاسلامي وترسيخ وجوده. المناسك الدينية ترقى بالاجتماع بمثابة بؤرة للاتحاد، وبوسعها تعميم الاجواء واتساع دائرتها لتشمل تجمعات اخرى، وبالتالي استبدالها بمحيط اكثر اتساعاً واكبر قوة. ومن هذا المنطلق يستطيع الحج ـ بوحي من ارساء العهود والالزامات الاخلاقية ـ خلق الشعور بالتجانس والثقة، وجبران التباعد الطبيعي والمصطنع والمفروض على حد سواء. وفي كلمة للامام علي (ع)، وضمن الاشارة الى فلسفة بعض التعاليم الاسلامية، يقول عن الحج: «فَرَضَ اللَّهُ تَعَالَى... والْحَجَ تَقْوِيَةً لِلدِّينِ». وهذا يعني ان الحج مدعاة لتقوية الدين. ذلك انه في اجتماع الحج تستحكم العلاقات بين المسلمين ويزداد الايمان قوة ورسوخاً، وبذلك يكون الاسلام اكثر قوة واسنحكاماً. فالدافع الرئيسي من تشريع الحج هو ان يجتمع المسلمون تحت لواء الكعبة المشرفة، كأمة واحدة وذات عزم وقوة موحدة. من الممكن ان لا يكون المشاركون في مراسم الحج منسجمين في الفكر والأذواق، وربما لديهم تصورات متباينة ازاء بعض الامور ايضاً، غير انهم في التوجه الى الله تعالى والحركة في مسار العبودية الالهية، فانهم يتحركون في مسار واحد ويمضون نحو هدف واحد .. الحج يتشكل من(الأنا) الدينية والثقافية والمذهبية، وهو بمثابة اجتماع يتمحور حول هدف واحد. كل الأناوات والذوات تتبدل في ظل هذا الهدف ـ اي العبادة والتقرب الى الحق تعالى ـ تتبدل الى(نحن)، بل الى(أنا) جامعة متعالية تخلو من اي تنازع على الرغم من وجود االتعدد والتنوع. ومن هنا يمكن القول ان الحج يمثل منعطفاً للوحدة بين المسلمين في مختلف بقاع الارض، ويمهد الارضية للسلم والتعايش السلمي، ويعد عاملاً في التضامن والتكاتف والاتحاد. و ما ينبغي الاشارة اليه هنا هو أنه، على الرغم من الدور الذي يضطلع به الحج في تعزيزالتضامن الاجتماعي، غير ان قدرته على تحقيق الانسجام داخل المجتمع الاسلامي اكبر بكثير مما هو قائم اليوم. ذلك ان الحج قادرعلى توحيد المجتمع الاسلامي والمضي به على طريق تحقق الاهداف الاسلامية الكبرى، وتوحيد صفوفه في التصدي لاعداء الاسلام ودحرهم.

الحج وارساء هوية العقل الجمعي

الهوية في المفهوم الاجتماعي عبارة عن مجموعة الخصائص والمشخصات البارزة الاجتماعية، والثقافية، والنفسية، والبيئية، والتاريخية، التي تصدق بنحو واحد على اعضاء جماعة ما، وتدل على توحدهم او تماثلهم، وتميزهم عن الآخرين. فكما ان الاشخاص لديهم هويتهم الخاصة بهم، كذلك الفئات والجماعات الاخرى لديها الهوية الخاصة بها التي يطلق عليها بـ (هوية العقل الجمعي).

و في المجتمع الاسلامي، ثمة معتقدات وشعائر دينية مشتركة تمنح المسلمين الهوية الخاصة بهم وتميزهم عن غيرهم. ويعتبر الحج من الشعائر الدينية المشتركة. ومن الامور الخاصة بالحج التي تستحوذ على اهتمام علماء الاجتماع الديني: كيف يتسنى لـ(الحاج) الارتقاء بشخصيته وتعزيزهويته في ظل مناسك الحج؟. وفي هذا الصدد يرى الباحثون ان الاشخاص وعلى الرغم من تباين خصائصهم واختلاف خصوصياتهم، غير انهم يجتمعون بمشاعر واحاسيس مشتركة، ومثل هذا الاجتماع يساعد في صيانة هوية العقل الجمعي ويعمل على ترسيخها قبل أي شيء آخر. ومن الواضح ان الشعائر الدينية التي تجسد الهوية الجمعية، قادرة على حفظ الهوية واتساع دائرتها وترسيخها. وفي مراسم الحج، وبوحي من تلاقي القلوب واجتماعها، تتجلى هوية المسلمين وتبرز جلياً. ذلك ان المناسك مدعاة لتعزيز الانسجام وترسيخ التمسك القلبي بالهدف الجمعي وبالتالي تجسيد الهوية. حيث ترتقي في الحج كيفية تعامل الافراد مع بعضهم، وتتوافر اوضاع جديدة للعلاقة فيما بينهم، وتتغير هوية(الانا) ويكتسب كل من الافراد والجمع ماهية جديدة.

باختصار الحج عبارة عن نموذج لتجسيد واقع المجتمع الاسلامي على الصعيد العالمي، حيث يبلور ابعاد وسمات المجتمع الاسلامي في مكان معلوم .. الحج تجلي لعظمة الاسلام وتجسيد قوة المسلمين وقدراتهم في ترجمة هويتهم ونيل عزتهم في الساحة الدولية. ذلك ان حضور المسلمين من مختلف بقاع الارض، ومشاركتهم بحشدهم المليوني في اداء مناسك الحج، واجتماعهم العظيم في المسجد الحرام بمكة المكرمة، كل ذلك يعزز من ثقتهم بأنفسهم وبقدراتهم، ويزيدهم قوة ومنعة، وسعياً للتشبث بتضامنهم وتعاضدهم وتجسيد اتحادهم وتوحدهم، والعمل معاً للارتقاء بعزتهم، والاضطلاع بدورهم الرباني الموعود في خلافة الارض.

الحج الابراهيمي

مؤتمر عالمي لتمرين الانسان على محورية الاخلاق والتسامح

■ الدكتور محمد مهدي ايماني بور

الأمر الذي يستحوذ على الاهتمام بالنسبة لموضوع الارتباط والتواصل بين المجتمعات الانسانية، محاولات النوع الانساني تحقيق السلم والامن في ظل التعايش على اساس الاخلاق. وما يمنح منظمة الامم المتحدة والمؤسسات الدولية المحيطة بها قوامها، محاولة العالم المتحضر تخطي الحواجز الجغرافية، والدينية، والطبقية، ونظير ذلك وإلغائها، متذرعاً برغبة الانسانية وحرصها على الارتقاء في مدارج السلم والاستقرار وتحقق عالم خال من العنف.

وعلى الرغم من انقضاء سنين متمادية، وفعاليات منظمات دولية متعددة، لا زال العالم ـ كما كان ـ يشهد منازعات وحروب مدمرة في مناطق عديدة. ولذلك يبدو ان البشرية بحاجة اليوم ـ اكثر من اي وقت آخر ـ الى احياء المعنويات واتساع دائرة التدين، في محاولة لارساء السلم والهدوء والاستقرار على صعيد الكرة الارضية.

واذا ما تأملنا في التراث الثقافي ـ الاجتماعي، والعادات والتقاليد والطقوس الثقافية ـ الدينية والتاريخية للشعوب، يمكن القول بكل جرأة، أن مؤتمر الحج الابراهيمي العظيم، الذي يمتد تاريخه لآلاف السنين، واعتبره الدين الاسلامي المبين بمثابة واجباً بالنسبة للمسلمين ممن استطاع اليه سبيلا وكلّفوا بأدائه ؛ يتمتع بأهلية خاصة وقدرات ملفتة على طريق توسيع دائرة السلم الاهلي والتسامح ونبذ العنف. حيث نرى في جميع ابعاده ومراحله واعماله، تمرين جمعي للحياة الايمانية أملاً في بلوغ السلم الاهلي والاستقرار المادي والمعنوي للنوع الانساني.

ان هذا النموذج المتحضر يتجلى كل عام بمثابة مناورة وتمرين للمسلمين في العالم، حيث تعتبر مراعاة حقوق الافراد وكافة المخلوقات الحية المحيطة به، من المبادىء الاساسية وتحظى بأهمية قصوى. بحيث أن اي تصرف يصدر من الحاج يؤدي الى تضييع حق انسان أو كائن حي، يستلزم غرامة واداء دين. وفي الحقيقة ان الانسان يتعلم من هذه التجربة نمط الحياة الايمانية، بعيداً عن لون البشرة، والعنصر ، والموطن، والمستوى الثقافي، والثراء والمنزلة الاجتماعية. . يتعلم ضرورة ان يكون إنساناً صالحاً، خلوقاً، وملتزماً بمبادىء التعبد (عبداً لله). وان محاولة تخطي هذه المبادىء والموازين، تستوجب العقوبة والغرامة (الفدية) التي ينبغي تسديدها طوعياً وفي وقتها المحدد، كي يتسنى له البقاء في المؤتمر والحصول في النهاية على درجة القبول.

ان ما يميز حج المسلمين الابراهيمي عن المناسبات والمراسيم القومية ـ الدينية للشعوب والاقوام والاديان الأخرى، ويضفي عليه طابعاً خاصاً بارزاً وشمولياً على الصعيد العالمي، هو اهتمام هذه الفريضة بتربية الانسان الخلوق والمسؤول ازاء نظرائه في الخلق وكافة الكائنات الحيّة. وفي الحقيقة، ان من السمات البارزة والملفتة حقاً في مؤتمر الحج الابراهيمي، فضلاً عن الاهتمام الخاص بمراعاة حقوق افراد المجتمع الانساني، هو الأمر الخطير المتمثل في الحفاظ على حقوق سائر المخلوقات والكائنات الحية.

و كما هو معلوم، ان المسلم القادر والمستطيع ملزم بالتوجه الى ارض الوحي في زمان ومكان محددين، ويقوم باداء اعمال وشعائر خاصة تدور حول محور مقدس للتعبير عن عشق العبودية لله تعالى، والتحلي بالرأفة والتسامح ازاء كافة المخلوقات الماثلة في الوجود. كما ان كل من تسنت له المشاركة في هذه الشعائر المقدسة من قبل، ينتابه ـ دون مبالغة ـ شعور خاص مفعم بالسكون وكأنه ولد من جديد.

ما قيل في وصف ثمرات الحج الابراهيمي، إنما هو تذكير بالنسبة للمفكرين والعلماء

والمسؤولين الحكوميين والنخبة المؤثرة في المجتمعات الاسلامية، لاتخاذ خطوات فاعلة في تعميم هذه الشعائر على الصعيد العالمي، والتعريف بالتراث القيّم لنبي الرحمة المصطفى محمد (صلى الله عليه وآله). ذلك ان العالم الاسلامي لم يبذل ـ للأسف ـ ما بوسعه للتعريف بهذا التراث الانساني العظيم ولفت الانظار الى ما يختزنه من قدرات جمّة في ارساء الامن والاستقرار، وتعميم التعايش السلمي، واطلاع الشعوب والملل والاديان الأخرى على ذلك.

باختصار موسم الحج مكان لاستعراض نمط الحياة الاسلامية، والتسليم والتوجه الى مبدأ الوجود. وان جميع المصلحين في عالم اليوم، على الاقل في القرن الاخير، يؤكدون على الدوام على السلم والتسامح بمثابة احدى ضرورات تحقيق السعادة. وان ما نشهده ونلمسه في ابعاد واعمال هذا المؤتمر العظيم اكثر من اي أمر آخر، هو التأكيد على نبذ العبودية لغير الله تعالى، والاهتمام بحقوق كل كائن حي بما فيهم الانسان. وفي عبارة اوضح، ان ما هو ماثل في عالمنا اليوم ، بعد مئات السنين من الحروب واراقة الدماء والعنف، هو التأكيد على ذلك. ولا يخفى ان الاديان الابراهيمية سيما انبياء اولي العزم، وعلى الأخص النبي الخاتم المصطفى محمد (صلى الله عليه وآله)، دعا البشرية الى ذلك منذ قرون متمادية. النبي محمد الذي يرى فلسفة وجود شريعته تكمن في اكمال مكارم الاخلاق للنوع الانساني.

و بطبيعة الحال، ان ما تم التأكيد عليه بخصوص الحج بعد قيام الجمهورية الاسلامية، والذي تجلى في اقوال قادة الثورة، هو الارتقاء بالابعاد (الاجتماعية) و(السياسية) لهذه المناسك، جنب الى جنب مع الابعاد (العرفانية) و(المعنوية). وان تأكيد الامام الخميني على (ابراهيمية) الحج، والاهتمام بأدبيات (الحج الابراهيمي ـ المحمدي)، ما هو إلا محاولة للفت الانظار الى حقيقة (الحج) والرجوع اليها. ذلك ان مقارعة أعداء الانسانية والتصدي لمن يحاول تضييع حقوق الشعوب، ومناصرة المظلومين والتضامن معهم، هي من جملة خصائص وسمات الحج الابراهيمي. ولهذا ينبغي تحويل الحج الى مركز لصحوة العالم الاسلامي وتوحّده في مواجهة الاستكبار العالمي.

و من هنا يبدو ثمة ضرورة اسلامية للتعريف ـ على الصعيد الدولي ـ بالروايات الصحيحة المتفق عليها، التي تتحدث عن فوائد ومزايا مؤتمر الحج العظيم، وان تتحمل منظمة المؤتمر الاسلامي مسؤوليتها ازاء ذلك. ومن اللازم ان يبادر الجميع من علماء ومفكرين ومسؤولين في البلدان الاسلامية، للتعريف بنموذج الحياة الايمانية المستوحاة من مناسك الحج الابراهيمي وتعميمه على صعيد المجتمعات الاسلامية والاجواء العالمية، وكلنا أمل في تحقق ذلك عن قريب في العالم الاسلامي.

- اذا ما تأملنا في التراث الثقافي ـ الاجتماعي، والعادات والتقاليد والطقوس الثقافية ـ الدينية والتاريخية للشعوب، يمكن القول بكل جرأة، أن مؤتمر الحج الابراهيمي العظيم، الذي يمتد تاريخه لآلاف السنين، واعتبره الدين الاسلامي المبين بمثابة واجباً بالنسبة للمسلمين ممن استطاع اليه سبيلا وكلّفوا بأدائه ؛ يتمتع بأهلية خاصة وقدرات ملفتة على طريق توسيع دائرة السلم الاهلي والتسامح ونبذ العنف. حيث نرى في جميع ابعاده ومراحله واعماله، تمرين جمعي للحياة الايمانية أملاً في بلوغ السلم الاهلي والاستقرار المادي والمعنوي للنوع الانساني.

- ان ما يميز حج المسلمين الابراهيمي عن المناسبات والمراسيم القومية ـ الدينية للشعوب والاقوام والاديان الأخرى، ويضفي عليه طابعاً خاصاً بارزاً وشمولياً على الصعيد العالمي، هو اهتمام هذه الفريضة بتربية الانسان الخلوق والمسؤول ازاء نظرائه في الخلق وكافة الكائنات الحيّة. وفي الحقيقة، ان من السمات البارزة والملفتة حقاً في مؤتمر الحج الابراهيمي، فضلاً عن الاهتمام الخاص بمراعاة حقوق افراد المجتمع الانساني، هو الأمر الخطير المتمثل في الحفاظ على حقوق سائر المخلوقات والكائنات الحية.

- باختصار موسم الحج مكان لاستعراض نمط الحياة الاسلامية، والتسليم والتوجه الى مبدأ الوجود. وان جميع المصلحين في عالم اليوم، على الاقل في القرن الاخير، يؤكدون على الدوام على السلم والتسامح بمثابة احدى ضرورات تحقيق السعادة. وان ما نشهده ونلمسه في ابعاد واعمال هذا المؤتمر العظيم اكثر من اي أمر آخر، هو التأكيد على نبذ العبودية لغير الله تعالى، والاهتمام بحقوق كل كائن حي بما فيهم الانسان.

الجمهورية الاسلامية ومفهوم السيادة الشعبية الدينية

■ **الدكتور منصور ميراحمدي**
باحث و استاذ جامعة

للوقوف على طبيعة العلاقة بين الثورة الاسلامية في ايران ونموذج السيادة الشعبية الدينية، لابد من تبيان معالم الفكر الديني للثورة الاسلامية من جهة، وايضاح علاقة ذلك في بلورة نموذج السيادة الشعبية الدينية بعد انتصار الثورة الاسلامية. كما ان بوسع ايضاح طبيعة هذه العلاقة، لفت الانظار الى نوعية العلاقة بين هذا النموذج والنماذج المنافسة الاخرى، سواء على صعيد العالم الاسلامي والنظام الدولي.

تحاول المقالة التالية تسليط الضوء باختصار أولاً، على وجه العلاقة بين فكر الثورة الاسلامية في ايران ونموذج السيادة الشعبية الدينية باعتباره نموذجها الديمقراطي المفضل. ومن ثم محاولة التعرف على النماذج المنافسة للسيادة الشعبية الدينية سواء على صعيد العالم الاسلامي والنظام الدولي.

الثورة الاسلامية وتجديد الخطاب الديني

الثورة الاسلامية في ايران كانت حصيلة توجّه خاص بالنسبة للخطاب الديني. ولدى مقارنة هذا التوجه بالرؤية التقليدية الى الدين، يمكن التعبير عن ذلك بمحاولة تجديد الخطاب الديني. وبناءً على ذلك، وعلى الرغم من اهمية الرجوع الى النصوص الدينية لفهم الدين واعتباره ضرورياً، غير انه في ضوء هكذا مراجعة، ومن خلال تحكيم العقل، من الممكن استنباط توجهات عقلانية من التعاليم الدينية تتناسب مع متطلبات الحقبة الزمنية ومتطلبات العصر. توجهات وتصورات تفضي الى مطابقة العالم المتغير مع الشريعة الثابتة. وفي ظل هكذا التوجه، يعاد النظر في التقاليد الدينية بما يواكب العالم الجديد، ويتوائم مع ميدان الحياة الفردية والاجتماعية ويتناغم مع القوانين الدينية العصرية. ولهذا يمكن النظر الى التوجّه الجديد لفهم الدين والاحاطة بتعاليمه باعتباره التوجّه الاوسع انتشاراً والاكثر حضوراً. وبناء على ذلك ينظر الى الاسلام السياسي بمثابة حصيلة هذا التوجّه وهذا الفهم.

وفي ضوء هذا التصور والفهم، يتعهد الاسلام بتبيان المفاهيم وتحديد المهام التي ينبغي اتباعها في الحياة الفردية والاجتماعية، تاركاً للمسلمين مهمة اختيار الطريقة التنفيذية المثلى بما يتناسب مع الظروف الزمانية والمكانية. حيث يعمل المسلمون على تنظيم ذلك وفقاً للظروف المتاحة، ومحاولة ترتيب الشؤون الفردية والسياسية والاجتماعية آخذين بالاعتبار التعاليم الدينية وتوجهاتها.

تجديد الخطاب الديني والسيادة الشعبية الدينية

تجديد الخطاب الديني بمثابة دعامة نظرية للثورة الاسلامية في ايران، اوجد تحولات اساسية متعددة في حياة الايرانيين في المرحلة التي اعقبت انتصار الثورة الاسلامية. وبالنسبة للساحة السياسية يمكن الاشارة الى التحول السياسي الذي تخطى النظام الملكي الى النظام الشعبي.. وفي هذا الصدد شكّلت الثورة الاسلامية نقلة نوعية هامة في الحياة السياسية الايرانية. حيث استطاعت لاول مرة ابعاد العلاقات السياسية ـ الاجتماعية عن قواعد الملكية الشاهنشاهية، ووضعتها بأيدي الشعب، حيث باتت الجماهير هي المسؤولة عن تحديد نوعية هذه العلاقات وطبيعتها. وبناء على ذلك شكّلت ارادة الشعب المعيار في تحديد طبيعة النظام واتخاذ القرار. سواء تأسيس النظام السياسي، وكذلك تشكيل اركانه، كل ذلك منوط برأي الاكثرية. وان الشعب في ظل هكذا نظام سياسي، يشارك برأيه ـ بشكل مباشر وغير مباشر ـ في تأسيسه وتحديد اركانه واتخاذ قراراته الرئيسية. وان هذا النموذج من الحكم يعتمد السيادة الشعبية، لأن رأي الشعب يشكل البناء الاساس في تأسيس النظام السياسي، ويعتبر نظاماً دينياً نظراً لإعتماده المبادىء والقوانين الدينية في الحياة السياسية والاجتماعية. السيادة الشعبية الدينية، وفي ضوء تجديد الخطاب الديني، أمر في غاية البساطة يمكن التعرف عليه واستنباط ابعاده، بالعودة الى المراجع والنصوص الدينية. ومعنى هذا ان السيادة الشعبية الدينية لا تعني مزيج من الديمقراطية الغربية والتعاليم الاسلامية. وإذا ما تأملنا في مفهوم السيادة الشعبية الدينية التي تتضح ابعادها من خلال آراء وتصريحات قادة الثورة الاسلامية، يتبين ان الاسلام ينظر الى المشاركة الشعبية في الحياة السياسية والاجتماعية بمثابة أحد حقوق الانسان الفردية. ذلك ان الجماهير تتمتع بحق المشاركة في اطار المبادىء والقيم والقوانين الدينية. وان هذا الحق يترجم بالنسبة لتشكيل النظام السياسي واتخاذ القرارات سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة. وبناء على ذلك، ووفقاً لفكر الثورة الاسلامية، السيادة الشعبية الدينية نموذج للنظام السياسي الذي آمنت به المرجعية الدينية وعملت على تحليل وتوضيح ابعاده، وتبيان مقومات الحكومة الشعبية، والحقوق الاساسية التي تتمتع بها الجماهير في ظل وجود مثل هذا النظام السياسي .

السيادة الشعبية الدينية والنماذج الأخرى

بشكل عام يمكن الاشارة الى نماذج منافسة لنموذج السيادة الشعبية الدينية على صعيد العالم الاسلامي والنظام الدولي. على صعيد العالم الاسلامي ثمة نموذج للسيادة الشعبية الدينية يتنافس في الغالب مع نموذجين هامين: نموذج الدولة الايديولوجية / الراديكالية الدينية، ونموذج الدولة العلمانية .. وبالنسبة للدولة الايديولوجية/ الراديكالية الدينية، فهي تعترف بمرجعية الدين في الحياة السياسية ـ الاجتماعية. غير انها ترى ان التعاليم الدينية تحدد مضمون الحياة السياسية ـ الاجتماعية، وتتولى تعيين السبل الكفيلة بالاجراء والتنفيذ في جميع الازمنة والامكنة. أما نموذج الدولة العلمانية، الذي يعد بمثابة نموذجاً آخر يشكل نداً للسيادة الشعبية الدينية، فهو يؤمن بأن دور الدين يقتصر على تبيين المبادىء والقيم الحاكمة على الحياة سياسية ـ الاجتماعية فحسب، وان تنظيم ذلك لا يتطلب الرجوع الى الاحكام والقوانين الشرعية. وبعبارة أخرى ان مرجعية الدين في تبيين القيم الحاكمة على الحياة السياسية والاجتماعية موضع قبول، ولكنه يرى ان القوانين الوضعية المستلهمة من اجتهاد العقل البشري هي وحدها المسؤولة عن تنظيم الحياة السياسية ـ الاجتماعية، بدلاً من القوانين الشرعية.

أما بالنسبة لنموذج السيادة الشعبية الدينية الذي يطبق في ايران، ويتحدى النموذجين اعلاه، فهو يؤمن بتجديد الخطاب الديني القائم على اساس الاجتهاد الفقهي الحيوي المستنبط من الشريعة، سواء في الحياة الفردية والحياة الاجتماعية. وبطبيعة الحال بالنحو الذي كان عليه لدى المتقدمين، حيث كانت التعاليم الدينية تعتبر وحدها اللازمة الاجراء. ذلك ان التعاليم والاحكام التي تتعهد بتبيان المعتقدات، والمبادىء والقيم، والقوانين الدينية بالنسبة للحياة الفردية والاجتماعية، تعمل على تنظيم آليات التنفيذ المواكبة للظروف المكانية والزمانية. ولهذا تم اختيار نموذج السيادة الشعبية بمثابة نموذجاً لنظام الحكم في اطار الجمهورية الاسلامية، وقد بذلت جهود قيمة على مدى اكثر من اربعة عقود، لارساء وترسيخ دور الجماهير في تشكيل وبلورة النظام الاسلامي الذي آمن بالسيادة الشعبية الدينية. وما يجدر ذكره على صعيد النظام الدولي هو، ان نموذج السيادة الشعبية الدينية يشكل ـ في الغالب ـ نداً للنموذج الليبرالي الديمقراطي باعتباره النموذج الاكثر شيوعاً في النظام الدولي. وكما هو واضح ان النموذج الليبرالي الديمقراطي يؤمن بمرجعية المبادىء والقيم والقوانين المعتمدة من قبل الليبرالية، وبالتالي لا دور للدين في الحياة السياسية ـ الاجتماعية للغرب.

البعد العرفاني والتربوي والعبادي للحج

إنَّنا نستطيع أن نفكر فيما حشده التّشريع الإسلاميّ في الحجّ من عدة جوانب، تتفرَّع في شكلها وفي طبيعتها وفي إيحاءاتها، فإذا وقفنا في أجواء الإحرام، فإنَّنا نشعر بأنَّ هناك نوعاً من أنواع التَّدريب ليتحرَّر الإنسان من كلّ ما يعيق حركته من الارتباط بالأشياء التي يمارسها في عاداته، أو في أجواء الترف التي يحبّها، أو في أجواء الحياة الاجتماعية التي يعيش في داخلها.

الإجابة لله وحده

ثم بعد ذلك، نجد أنَّ كلمات التلبية ـ فيما توحي به في معانٍ واسعة ـ تعني التزاماً أمام الله سبحانه، بطريقةٍ مؤكدةٍ مضافةٍ بالاستجابة لكل نداءات الله، ليس ـ فقط ـ ما يقوله بعض المفسرين والمحلّلين، إنَّ كلمة «لبيك» يراد بها الاستجابة لنداء إبراهيم(ع) فيما أمره الله به، من أن يؤذن للناس بالحج ليدعوهم إلى الإقبال إليه، في ما تحدث به القرآن الكريم في قوله تعالى: {وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ}[الحج:٢٦، ٢٧]. فنحن نرى أنَّ المسألة أكثر شمولاً في ذلك؛ لتكون استجابةً لكل نداءات الله في كتابه وفي رسالته في ما وجهه للناس، بعنوان "يا أيها الناس"، وفيما وجهه للمؤمنين من خلال الإيمان بعنوان "يا أيها الذين آمنوا". إنَّ كلمة «لبيك» تعني أنَّنا ـ يا رب ـ نلتزم في موقفنا هذا بكل نداءاتك بالإسلام كله، في عباداته، وفي أخلاقه، وفي جهاده، وفي سياسته واقتصاده، وفي مواجهة كلّ التّحديات التي يواجهها الإنسان من الشَّيطان الداخلي في عمق نفسه، أو من الشَّيطان الخارجي في عمق واقعه وفيما يحيط بحياته.

إنها الحركة الصارخة في النداء الذي تنطلق به كل حناجر الحجاج؛ لتؤكد موقفهم الذي يريد أن يلتزم الإسلام من جديد، في مسيرتهم إلى مركز الدعوة الإسلامية الأولى في مكة، لتكون مسيرة الحجاج من سائر أقطار العالم هي مسيرة الإسلام التي تقول ـ من خلال تلك الكلمات الخاضعة الهادرة ـ: يا رب، إذا كان الناس قد تركوا الإسلام، فلم يؤمنوا به، ولم يرتبطوا به، وإذا كان المسلمون قد انحرفوا عن خطه، وتركوا الكثير من تعاليمه، وانتموا إلى الاتجاهات الأخرى التي تختلف عن خطه المستقيم. إذا كان الواقع هو ذلك، فها نحن قادمون إلى بيتك المحرم، لنقول لك من كل قلوبنا، ومن كل عقولنا، ومن كل مواقعنا ومواقفنا وتطلعاتنا.. «لبيك اللهم لبيك»، فقد جعلت الإسلام لنا ـ بكل عمقه وامتداده ـ رسالة الحياة، ونحن نريد أن ننطلق إلى الحياة من خلاله.

ومن هنا، قد نفهم أنَّ التشريع لم يقتصر على كلمة «لبيك»، ولكنه أضاف كلمة «وحدك لا شريك لك»؛ ليؤكد الإنسان فيها أن التلبية التي تتوجه إلى الله سبحانه، لا يمكن أن تتوجه لأيّ إنسانٍ آخر. فنحن في الحياة عندما نريد أن نستجيب لنداء من أيّ مناد، أو لكل مبدأ أو قانونٍ من أيّ مشرّعٍ أو مفكر، أو لأية علاقة بالناس، فلا بد من أن يكون ذلك منطلقاً من استجابتنا لله، وعلاقتنا به؛ لتكون علاقاتنا بالحياة كلها منطلقةً من ذلك، فلا شيء ولا أحد مع الله، فهو وحده الذي نتوجَّه إليه بكل ما في قلوبنا من محبة وإخلاص وعبودية، ولا نتوجه إلى أي شخص معه، بل إن علاقتنا بالناس منطلقة من علاقتنا بالله، من خلال باب الله الذي يدخل منه الجميع، حتى إنَّ علاقتنا برسول الله، وبكلّ رسل الله، لا ترتبط بهم كأشخاص، بل بصفة أنهم رسل الله والمبلغون عنه، وهكذا هي علاقتنا بالأئمة والأولياء، من خلال أنهم عباد الله الذي أطاعوه بما يجب وعبدوه كما يريد.

(لبيك لا شريك لك) لن نجيب غيرك، ولن نستمع إلى أيّ نداءٍ، سواء انطلق من حاكم، أو من حكومة، أو من حزب، أو من محور إقليمي أو دولي، فأنت وحدك المحور الذي نتحرك في

ساحته؛ لأن ذلك هو الذي يجعلنا ننسجم مع عقيدتنا إذا أجبناك.

(لبيك لا شريك لك)، وتعود الكلمة من جديد؛ لتتضاعف، ولتعمق المشاعر في نفس الإنسان، لتطلّ على كل ما في الحياة من ملوك وجبابرة وطغاة، وما تحتويه من نعم وثروات، فلا نجد المداحين الذين يمدحون هذا ويحمدون ذاك؛ ليؤكد الإنسان في موقف الحج أن الملك لله وحده، وأن الحمد له وحده، وأن النعمة له وحده، فكل حمد مستمدٌ من حمده، وكل نعمة مستمدّةٌ من نعمته، وكل ملك فهو ظلّ لملكه، فليس هناك محمودون ممدوحون، وليس هناك منعمون في ذاتهم، فهو وحده صاحب الحمد والملك والنعمة. وبذلك، يحس الإنسان هناك ـ أمام الله وحده ـ أنه بعيد عن كل أحد غير الله. ومن خلال ذلك، يتأكد معنى العبودية المطلقة لله، بأن تكون عبداً بكلّك، وبفكرك، وشعورك، وضميرك، وحركتك، وكل خطواتك العملية في الحياة وفي جميع مشاريعك على كل صعيد، وأن تكون الإنسان الذي يعيش العبودية لله؛ لتنطلق حريتك أمام العالم، وأمام الأشياء من خلال ذلك، وبهذا تلتقي الحرية والعبودية في عمق الإنسان، فتتعمَّق حريتك بمقدار ما تتعمق عبوديتك لله، فأنت من موقع عبوديتك لله تأخذ حريتك. أما الآخرون، فإنهم يمارسون عبوديَّتهم للناس وللشَّهوات وللمطامع من موقع حريتهم المطلقة أمام الله.

التمرّد على الصنميَّة

ثم ننطلق في بعض إيحاءات الحج لنصل إلى البيت الحرام، فنتساءل: ماذا يعني البيت؟ وماذا يعني الطواف حوله؟ هل نقدس الأحجار التي يتألف منها؟

إنها ليست حتميّة جديدة تتخذ الأحجار الثابتة بدلاً من الأحجار المتحركة، بل هي التمرد على الصنمية، والرمز الذي يُراد من خلاله تربية الإنسان على طريقة جديدة في مواجهة حركة الإسلام في صعيد الواقع، فكيف نفهم ذلك؟

إننا ـ كمسلمين ـ قد نصنع لله بيتاً في مدننا وقُرانا، فهذا مسجد للقبيلة، وذاك مسجد للمحلة، وآخر مسجد للبلد، وتتنوَّع الصفات المحدودة لتدخل فيها دوائرنا العائلية والقبلية، فهذا مسجد آل فلان، وذاك مسجد تلك القبيلة، وتدخل فيها دوائرنا القومية، فهذا مسجد العرب، وذاك مسجد العجم. وهكذا نحاول في مساجدنا أن نحافظ على كل الحدود التي تفصلنا عن بعضنا البعض، وتبعدنا عن ساحتنا الإنسانية الواسعة؛ لنؤكد فيها عصبياتنا العائلية والإقليمية والقومية، أو لنبقى في الدائرة الضيّقة المحدودة التي تحجب عنا رؤية الدائرة الواسعة للحياة وللإنسان، فكانت الكعبة ـ البيت الحرام ـ التي جعلها الله قياماً للناس كل الناس، بعيداً عن كل صفاتهم اللونية والعرقية والجغرافية؛ لتكون بيتاً لله في حجم العالم؛ البيت الإلهي العالمي الذي يشعر كل مسلم بأنه بيته ورمزه ومنطلقه، ولهذا أراد الله لهم أن يتوجَّهوا إليه أينما كانوا {فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ}[البقرة: ١٤٤]، وأن لا يتوجّهوا إلى غيره؛ ليكون قاعدة وحدتهم، ومنطلق عالميَّتهم، وموقع إنسانيَّتهم.

تنوع إنساني داخل الوحدة

ثم قد نفهم جانباً آخر من الصورة، في الطواف حول البيت كعبادة، فنحن نعبد الله، بحسب الحالة الطبيعية، أفراداً في بيوتنا ومواقعنا الفردية، ثم نمارس العبادة ـ بعد ذلك ـ جماعة في صلاة جماعة محدودة، قد تتسع في أفرادها وقد تضيق، تبعاً للموقع وللإمام وللمناسبة، وتبقى العبادة في حدودها الفردية والاجتماعية الضيّقة، فلا نعيش فيها الانفتاح في عبادتنا لله على مستوى حجم الأمة كلها، تبعاً للتنوع الواسع في النطاق العالمي الإنساني.

إننا ندعو ـ من خلال الحج ـ إلى أن نصوغ من جديد شخصية الإنسان المسلم العالمي، الذي يفكر في الإسلام بحجم العالم من خلال قدراته وإمكاناته، وليطور نفسه بحيث يستطيع أن يكون مفيداً للمسلمين في كل منطقة من مناطق الأرض، فلا تتجمد طموحاتنا في الزوايا الضيقة والمواقع المحدودة، ولا تتساقط مواقفنا عند الحواجز الذاتية الخاصة.

وهنا تأتي عبادة الطواف، لتكون العبادة حول البيت الإلهي العالمي في حجم الأمة كلّها، عندما يشترك المسلمون ـ من سائر أقطار العالم ـ ليعبدوا الله كأمة، يتمثّل فيها العربي والفارسي والهندي والأميركي والأفريقي والأوروبي، وما إلى ذلك؛ لينطلق الجميع في عبادة إسلامية عامّة كأمة؛ ليعيشوا الأفق الواسع في العبادة، وليتفاعلوا بهذه الشخصية الجديدة التي تؤكد في داخلهم معنى الامتداد الإنساني الشعوري في روحية العبادة بين يدي الله، فيتخلصون بذلك مما اعتادوه في حياتهم؛ لأنَّ الناس إذا مارسوا فكرهم وعبادتهم ومسؤولياتهم في النطاق الضيّق، فإنَّ ذلك يتحول إلى حالة نفسية ضيّقة مخنوقة في الدائرة المحدودة، فينسون صفتهم كجزء من الأمة الواسعة، بينما توحي العبادة في داخل التنوع الإنساني للأمة المسلمة بالبعد العالمي للشخصية وهي بين يدي الله رب العالمين؛ ليتمثل من خلال ذلك الهدف التربوي للحج، وهو صنع الإنسان المسلم العالمي، الذي يتحرر من ذاتيته وعائليته وإقليميته وقوميته عندما يطوف بالبيت العالمي لله.

وتلك هي القضية التي قد نحتاج إلى أن نتمثّلها ونعيشها في واقعنا الاجتماعي والسياسي، لندخل في نشاطاتنا في دور جيد وساحة جديدة؛ لأنَّ من مشاكلنا الإسلاميَّة أنَّ المسلمين قد يغلب عليهم الاهتمام بقضاياهم الخاصة، التي قد تتطور من الحالة الذاتية إلى حالة البلد الذي ينتمي إليه الإنسان المسلم، فيرى أنَّ قضايا بلده الإسلامي هي المحور الذي يجب أن يدور حوله كلّ النشاط الإسلامي، ما يجعله يصرف كلّ طاقاته في هذا الموقع، ويحاول أن يستفيد من كل قضايا العالم من أجل قضيته، من دون أن يفكر في أنَّ عليه أن يستفيد من بلده لخدمة قضايا العالم الإسلامي الأخرى، الأمر الذي قد يتحول

إلى شعور داخلي بالانفصال عن قضايا العالم. وهكذا نلاحظ أنَّ الواقع السّياسي الذي يعيشه المسلمون في بلدانهم؛ تتوزع قضاياه وتتنوع ما بين قضية إقليمية إسلامية في هذا البلد، وقضية قومية في ذاك المحيط الجغرافي، وأن المسلمين يتحركون في حجم هذه القضايا تبعاً لمواقعهم المحلية، ولا يحاولون الاهتمام بقضايا الآخرين إلا من خلال علاقتها بهذه القضية، كما لو كانت قضيةً أجنبيةً يلامسونها كما يلامسون أية قضية بعيدة عن ساحتهم، وقد يسجلون على الآخرين نقطة سوداء إذا انشغلوا عن هذه القضية بقضيتهم، حتى لو كانت قضيةً إسلامية.

وقد يقول البعض: إنني أهتم بهذه القضية الخاصة لأنها قضية إسلامية، ولأن طبيعة الموقع الذي أمثّله في هذه الساحة يفرض عليّ الحركة في هذه الدائرة؛ لأني أعرف منها ما لا يعرفه الآخرون، ولأني أملك من مواقعها ما لا يملكه الآخرون، في نوعية الحركة، وفي طبيعة النتائج؛ ولأن قيمتها قد تفوق قيمة كثيرٍ من القضايا الإسلامية الأُخرى، بالنظر إلى أهميتها السياسية وقيمتها الاستراتيجيّة فيما هو الواقع الإسلامي في حركة الصراع.

قد يكون هذا الكلام معقولاً ومقبولاً، ولكنّ هناك نقطةً مهمة، وهي أن العقلية الإسلامية الشاملة تفرض على الإنسان المسلم الذي يتحرك في قضية بلده أو منطقته ـ كقضية إسلامية ـ أن يدرس موقعها من المسألة الإسلاميّة في العالم، من حيث طبيعتها السياسية أو الاقتصادية أو الأمنية، ليعرف كيف تكون حجم حركته والموقف الذي يجب اتخاذه من هذا الوضع أو ذاك، أو هذا البلد أو ذاك، فهناك فرق بين أن يفكر في أن ينتصر لقضية بلده حتى لو انهزمت كل قضايا الإسلام في العالم، وبين أن يفكر ببلده كجزءٍ من قضايا الإسلام الكبرى.

إننا نقول: لا تتحمَّسوا لقضاياكم الخاصّة لتقولوا إنَّ المسلمين في هذا البلد يهتمون بقضاياهم، لأنَّهم لا يجدون أحداً من المسلمين الآخرين قادراً على حمايتها، فهناك نقطة مهمة لا بدَّ من ملاحظتها بدقة، وهي أنَّنا يجب أن نهتمّ بقضايانا على أساس أنَّها جزء من كلٍّ، لا على أساس أنها قضية منفصلة عن الجسم الإسلامي.

صياغة جديدة لشخصية المسلم

إننا ندعو ـ من خلال الحج ـ إلى أن نصوغ من جديد شخصية الإنسان المسلم العالمي، الذي يفكر في الإسلام بحجم العالم من خلال قدراته وإمكاناته، وليطور نفسه بحيث يستطيع أن يكون مفيداً للمسلمين في كل منطقة من مناطق الأرض، فلا تتجمد طموحاتنا في الزوايا الضيقة والمواقع المحدودة، ولا تتساقط مواقفنا عند الحواجز الذاتية الخاصة.

إننا إذا استطعنا الوصول إلى هذا الهدف الكبير في صنع الشخصيَّة الإسلاميَّة العالميَّة؛ فإننا نستطيع أن نعتبر أنفسنا في الموقع الصحيح للبداية الحاسمة التي نتحول فيها إلى أُمة، بدلاً من أن نبقى أفراداً متناثرين، أو جماعات متفرقة، وهذا هو ما نستوحيه من معنى الطواف حول البيت.

السعي تمثّل لمعنى الطاعة

ثم ننتقل إلى السعي بين الصفا والمروة، الذي يمثل حركة الإنسان من بداية معينة إلى نهاية معينة، في أشواط، من أجل أن نتعبَّد لله في ذلك، لأنه أمرنا به، فكان السعي حركةً في معنى الطاعة وسر العبادة، لتكون انطلاقةً إيجابية تربويةً في بداياتٍ ونهاياتٍ أُخرى في حركة الإنسان في طلب العلم، أو في تحصيل القوة، أو في مواجهة التحديات التي يفرضها المستكبرون، أو في إطلاق المواقف المتحدية ضدهم، أو في قضاء حوائج الناس؛ لأنَّ الله طلب منّا السعي من أجل هذه الأمور، كما طلبه منّا في هذا المكان.

إنَّ الله يريد منا أن نجعل الحياة حركةً من أجل الله في خطّ المسؤولية؛ لنحوّلها إلى ساحةٍ تبتعد عن كلّ الفئات الطّاغية والكافرة والمستكبرة؛ ليكون سعينا بدايةً ونقطة انطلاق إلى كلّ الساحات في العالم، فيما أرادنا الله أن نتحرك فيه من ساحات.

تأمل وتفكير ومراجعة للذات

ثم نعيش ـ في الحج ـ الوقفات، في عرفة، وفي المزدلفة، وفي منى التي نعيش لياليها في لحظات تأمّل وتفكير، حيث يشعر الإنسان عندما يندمج في أجواء الحركة في الحياة، في أي موقعٍ من مواقعها، وفي أي اتجاه من اتجاهاتها في العلم والسياسة، والحرب والسلم، بأنه لا بد له من الوقوف ليفكر، وليتأمل، وليحسب حساب الأرباح والخسائر؛ ليكتشف ما يمكن أن يكون قد

وقع فيه من انحراف في خط السير، لئلا تؤدي به الغفلة في اندفاع الحركة إلى الشعور بالغرور، الذي يوحي له بضخامة معينة في شخصيته التي لا وجود لها في الواقع، فيخيّل إليه بأنه لا يمكن أن يخطئ لأن الحق معه فيما يملكه من وضوح الرؤية للأشياء ومستوى المعرفة في عقله وتجربته.

إنّ هذه الوقفات توحي ـ من موقع الرمز ـ بأنّ على الإنسان أن يخفّف من سرعة اندفاعاته؛ ليقف ويفكر فيما قاله أو فعله، ليكتشف احتمالات الخطأ والصواب فيه؛ لينقد نفسه نقداً موضوعياً في كل ذلك، ويفهمها جيّداً.

إنّ الموقف في عرفات والمزدلفة ومنى ـ أمام الله ـ هو موقفٌ نقديّ تأمليّ ليذكر الإنسان نفسه وربّه، ويفكر في موقعه من الله، وفي ما يجب أن يتحرك فيه نحو المستقبل من أعمالٍ ومشاريع ونتائج، ولا سيّما في منى، التي توحي إليه لياليها بأنه في الموقع الأخير من الحج، فكيف كان قبلها؟ وما الذي هو عليه الآن؟ وماذا يريد أن يفعل غداً؟ وما هي قصة طموحاته الجديدة؟ هل هي قصة الدنيا، أو هي قصة الآخرة والدنيا في عملية الاندماج بينهما، في ما هي الفكرة، وفي ما هي الروح، وفي ما هو الهدف الكبير في ابتغاء رضوان الله، كما يريد الله لنا أن نعيش المسألة هناك في الابتهال إليه، حيث يقول تعالى: {فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ * وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * أُولَـئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا}[البقرة:٢٠٠ ـ ٢٠٢]؟

وبذلك، فإن الحجّ لا يفصل الإنسان عن الدنيا، بل يريد أن يربطه بالآخرة إلى جانب الدنيا في عملية تكامل وامتداد.

إطلالة على فكرة الصراع مع الشيطان

وأخيراً، إنّ الحجّ يُطل بنا على فكرة الصراع مع الشيطان، من خلال الإيحاء الحسي في عملية رجم الشيطان بطريقة رمزية لا تبتعد عن الواقع فيما تتحرك به الحياة، بحيث لم يستحضر شيطاناً خفياً يعيش في زوايا نفسه من دون أن يعرف طبيعته، بل إنه يستحضر في داخل وعيه الذاتي كل الشياطين، من خلال طبيعة فكر الشيطان، لا من خلال حجمه، ويتطلع ليجد الشيطان في نفسه وفي واقعه؛ ليبصر ويحدق جيداً أين هو الشيطان في داخل ذاته؟ وأين هو في حياته الاجتماعية والسياسية؟ وما هو حجمه فيما يتمثل به من أحجام القوة في مواقع السلطة بين حجم كبير وصغير، وأكبر أو متوسط؟ وهذا هو معنى نهاية الحجّ في عملية رجم الشيطان.

إنَّ كلمة «لبيك» تعني أنَّنا ـ يا رب ـ نلتزم في موقفنا هذا بكل نداءاتك بالإسلام كله، في عباداته، وفي أخلاقه، وفي جهاده، وفي سياسته واقتصاده، وفي مواجهة كلّ التّحديات التي يواجهها الإنسان من الشَّيطان الداخلي في عمق نفسه، أو من الشَّيطان الخارجي في عمق واقعه وفيما يحيط بحياته.

أيها الإنسان المسلم الحاج، لقد انتهيت من عملية التدريب فيما هي التجربة على مستوى الحركة الذاتية في العبادة، في المواقع التي لا تمثل التحدي الصارخ في ساحة الصراع، وها أنت تقف لرجم الشيطان، لترى أمامك كل شياطين الكفر والظلم والاستكبار في مواقع القوة في العالم، وها إنك قد انتهيت من الحج إلى ساحة العمل؛ لتنطلق في الحياة كلها بكل أصنامها ومواقفها ومشاكلها وشياطينها ووسائلها وغاياتها. إنها عملية النجاح في الحج بعد ذلك، ليست في نهاية الحج، بل في نهاية الحياة عندما يقوم الناس إلى رب العالمين.

ولكن هل ينتهي الحج بانتهاء أعماله؟ إنه لم ينته بل بدأ الآن، ليكون الحجّ إلى الحياة الإسلامية التي تنتظر أكثر من حج، إلى الساحات الملتهبة في الواقع الإسلامي في كل أنحاء العالم، ليكون الدين كله لله، وتكون الحياة كلها في خدمة الله. وتلك هي قصّة الإنسان عندما يعبد ربه من موقع إحساسه بالإيمان المسؤول والهدف المسؤول، لا من موقع إحساسه بالفراغ. وذلك هو البعد الحقيقي للحج؛ إنه صناعة الإنسان المسلم الذي يحب الله ويحب الإنسان والحياة من خلال هذا الحبّ الواعي الخاشع المسؤول.

الحج ودوره في التجسيد الواقعي للتقريب بين المذاهب الاسلامية

■ الدكتور محمد هادى فلاح زاده

ملخص البحث

من اعظم الاسلحة التي تستخدم اليوم لمواجهة الاسلام والشعوب الاسلامية، إثارة الاختلاف والتفرقة بين المسلمين والمجتمعات الاسلامية. وفي هذا الصدد تعتبر الطائفية والتعصب المذهبي افضل السبل للاعداء في استهداف الامة الاسلامية، حيث يتسنى لهم الخوض في هذا المجال وتوسيع دائرة الخلافات والعداء بين الشعوب الاسلامية وإساءة استغلال ذلك لفترات طويلة. ولذلك شكّل التحرك على خطى التقريب بين المذاهب الاسلامية وارساء الوحدة بين المسلمين، الهاجس الاكبر لكبار المصلحين الاسلاميين.

و الحج باعتباره ملتقاً عظيماً للمسلمين في اطار الامة الاسلامية، بوسعه الاضطلاع بدور في غاية الاهمية لتوحيد الجهود وتعزيز التعاضد والتكاتف بين ابناء الامة الواحدة. ذلك ان الاجتماع الموحد تحت لواء الاسلام وفي ظلال القيم الاسلامية الاصيلة، رغم التباين العرقي، والمذهبي، والثقافي، والظاهري، لفت الانظار الى اهمية موسم الحج بمثابة مكاناً يتيح فرصة حقيقية لتمرين التلاحم الاسلامي وتشكيل

الامة الاسلامية الواحدة.

والبحث التالي، وفي ذات الوقت الذي يستعرض معالم الحج، ومحاولة الوقوف على المشخصات التقريبية من قبيل : التوجه الأخوي، والثراء المعرفي، وتحديد هوية العدو ـ التي تشكّل في الحقيقة الاركان الرئيسية الهامة للتقريب بين المذاهب الاسلامية ـ يحاول التعريف بالنهج الذي تتعامل به الشعوب الاسلامية في اطار البيئة الايمانية بما يتطابق مع تجربة موسم الحج القصيرة، وبالتالي الوقوف على التجسيد العيني لدور الحج في التقريب بين المذاهب الاسلامية.

التأمل الدقيق في فحوى التعاليم والقيم الاسلامية يرشدنا الى مواقع متعددة، غير أننا نحاول هنا تسليط الضوء على احد المواقع المتمثل بالحج. وفي هذا الصدد نحاول الاجابة بكل شفافية عن السؤال الآتي : "كيف يمكن التقريب بين المذاهب الاسلامية انطلاقاً من مناسك الحج، باعتباره أعظم ملتقى قادر على تجسيد واقع الامة الاسلامية المنشود بشكل عملي ".

لا يخفى ان ثمة بحوث ودراسات متعددة حاولت تسليط الضوء على مكانة الحج وأهميته والدور الذي يمكن أن يضطلع به في حياة المسلمين. غير أننا نحاول هنا دراسة ابعاد الحج الابراهيمي وخصائصه وسماته، والتأمل في مظاهر تجلي الامة الاسلامية الموحدة في سياق فترة زمنية محددة ـ موسم الحج ـ والخوض في المشخصات الرئيسة القادرة على بلورة التقريب بين المذاهب الاسلامية، والوقوف على مدى توافرها والسبيل لتسخيرها في تشكيل الامة الاسلامية الموحدة.

الحج وتجلي أبعاد الامة الاسلامية

الاسلام وكما اكد القرآن الكريم، دين جامع وكامل ولم يهمل شيئاً دون ان يتطرق اليه، لافتاً الى حكمته وارشاداته في مختلف مناحي حياة الانسان. غير انه من بين كل الفرائض والتعاليم الدينية، كلما حضيت فريضة كالحج باهتمام وتأكيد القرآن الكريم والنبي الاكرم والائمة الاطهار. ذلك ان الحج وفضلاً عن احتوائه على ممارسات عقدية واجتماعي وسياسية وثقافي و.. فهو مدعاة لتجلي الوحدة في جميع شؤون الحياة الانسانية نظير، الوحدة في النية، الوحدة في الهدف، الوحدة في الاعمال العبادية، الوحدة في الاذكار والآداب، الوحدة في اللباس، الوحدة في الاماكن المقدسة، الوحدة في الحركة، الوحدة في التوقف، الوحدة في الجهة، الوحدة في الرؤية، والوحدة في ادراك مصدر الوجود. وفي هذا الصدد يقول الامام الخميني: " الحج افضل مكان لتعارف الشعوب الاسلامية، حيث يتعرف المسلمون على اخوتهم واخواتهم في الدين من مختلف انحاء العالم، ويجتمعون في البيت الذي اختصه الله تعالى بالمجتمعات الاسلامية واتباع ابراهيم الحنيف. وبتجاهل ما يشخصهم من ألوان، وقوميات، واعراق، يتوافدون على البيت العتيق. وبمراعاة الاخلاق الاسلامية الكريمة، وتجنب المجادلات والتجملات، يجسدون صفاء الاخوة الاسلامية وملامح تشكل امة الهادي المصطفى".

و عليه فان بمقدور الحج ان يحتل موقعه كايقونة الفرائض الاسلامية في تجلي الاخوة الاسلامية، ولفت انظار الشعوب الاسلامية الى أنه، اذا كان بالامكان في هكذا موقع وبفضل حرمة اداء المراسم وفرائض الحج، تجاهل القيم القومية والمذهبية، فلماذا لا يمكن أن تتجلى الاخوة الاسلامية بين المسلمين على نطاق البلدان الاسلامية. ولهذا ثمة تأكيد كبيرعلى الذهاب الى الحج واهمية اداء مناسك الحج، واعتبر ذلك بمثابة امراً خاصاً.

و في ضوء كل ذلك، يتضح ان الحج احد مظاهر تجلي ابعاد الامة الاسلامية في مكان وزمان محددين، وان بامكان الصحوة التي ينعم بها الحاج في ظل فرائض الحج ومناسكه وشعائره، ان ترافقه طوال عمره، والتمتع بمزايا تكاتف المسلمين واتحادهم. وعليه الحج ليس مجرد طقوس وشعائر عقدية، وإنما هو مدعاة لبلورة الأخوة الاسلامية ومن ثم تعبيد الطريق امام تشكل الامة الاسلامية. وفي ضوء هذه الرؤية ثمة سؤال : ما هي الشواخص الاساسية التي يكتنزها الحج وبوسعها التجلي للمسلمين الحاضرين في الحج ومشاهدتها عن كثب جنباً الى جنب مع المقومات الدينية العقدية الرئيسية الأخرى للامة الاسلامية ؟.

فيما يلي نحاول الاشارة الى بعض المولفات الاساسية والعناصر التي بوسعها تجسيد مفهوم التقريب كواقع عيني :

١ ـ الحج مظهر تجلي الاخوة الاسلامية

فلسفة تشريع الحج الى الحد الذي تعتبر مشهودة بالنسبة لنا، قائمة على اساس مقولة الاسلام وتحقق مفهوم " ان اكرمكم عند الله اتقاكم". فلا اعتبارللقوم والقبيلة والمذهب والمعتقدات الخاصة في الحج. . الحج لا علاقة له بذلك. كذلك بناء على فحوى الأية " واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا.. "، الاسلام هو الجوهر والسبيل الامثل للتواصل بين الخلق والخالق، وان هذا الاتصال والتواصل يتيسر عن طريق الحج في اطار التجمع في زمان محدد وبقواعد واحدة لجميع المشاركين. ذلك ان ارتباط الافراد بالله تعالى في الحج إنما هو بوحي من ماهيتهم الانسانية وليس بسبب الانتماء القومي أو القبلي أو المذهبي. بتعبير آخر، الاشخاص جميعهم هم مخلوق خالق واحد، وهم في الحقيقة أخوة واخوات ازاء بعضهم البعض. والحج هو مقر حضور هؤلاء الاخوة والأخوات في محضر الحق تعالى. وفي ظل هكذا توجّه في الحج، يتم التخلي عن الفوارق القومية والقبلية والمذهبية، ويتمرن الحجاج ـ في مدة زمنية محددة ـ على مفهوم الإخوة والمساواة من خلال الوحدة في الهدف، وفي الملبس، وفي المناسك التعبدية، وفي الآداب، وفي

الحركة، و.. الحج إنما هو استعراض لتحول الشعوب الاسلامية الى أمة اسلامية.

و في ضوء هذه الرؤية والتأمل في تداعيات الحج، يمكن القول ان بامكان المجتمع الاسلامي ـ في ظل اقامة الحج الابراهيمي وتعميم ذلك على كل الحياة الاجتماعية ـ الاستلهام من مفهوم التقريب في المجالات الاسلامية البنيوية، والارتقاء في بلورة ابعاد الامة الاسلامية، دون نفي ماهية القومية والقبلية والمذهبية. ولهذا الحج إنما هو مظهر تجلي الاخوة الاسلامية وسريان ذلك الى جسد العالم الاسلامي، وبالتالي بوسع التوجهات التقريبية الاستفادة من هذه الاجواء و محاولة توسيع دائرتها وارساءها كواقع ملموس.

٢ ـ الحج والاطلاع على احوال المسلمين

احد التداعيات العملية الاساسية الناتجة عن ملتقى تعارف الاخوة والاخوات في الدين على صعيد الميدان، هو أنه في هكذا فضاء يمكن تبادل التجارب والخبرات والتعرف على القدرات والفرص والتحديات، والاحاطة بنقاط الضعف التي تعاني منها الشعوب المسلمة. وفي ظل المعرفة والالتزام والوعي للمصالح المشتركة، يتحقق التضامن والتعاون والاتحاد بين الشعوب الاسلامية. ولا يخفى ان تحقق التفاهم على اساس المعرفة والمصالح المشتركة، ليس بالامر الصعب والمستبعد. ويمكن ان نجد مصداق ذلك فيما هو قائم اليوم بين الدول الاوروبية والذي يستند الى المنافع الدنيوية البحتة.

و اليوم وبالالتفات الى مقومات التواصل والارتباط ، اضافة الى التقدم العلمي والصناعي، وسهولة التبادل الثقافية بين الشعوب، فضلاً عن تمتع الشعوب المسلمة بالموقع الاستراتيجي والثروات الطبيعية الغنية والقوى الانسانية المناسبة، كل ذلك بمثابة مجالات متعددة تعزز التقارب والتعاون واتخاذ القرارات المشتركة على اساس المصالح والاهداف الاسلامية المشتركة.

و يعتبر ملتقى الحج العظيم افضل تجمع دولي ـ اسلامي يمكن استغلاله للتباحث ومناقشة وجهات النظر المتعددة ازاء مختلف الموضوعات ونقدها المصادقة عليها، وبالتالي التعرف على قضايا العالم الاسلامية والتحديات التي يواجهها والعمل معاً على ايجاد الحلول الناجعة لها.

و من ثم الانتقال الى مرحلة تجسيد نمط الحياة الاسلامية على اساس التعهد ازاء القيم الاسلامية، وبالتالي تحويله الى نمط للحياة بالنسبة للدول الاسلامية، والعمل معاً على تشكل الامة الاسلامية وتحقق حضارتها المنشودة.

و في هذا الصدد يقول سماحة القائد الامام الخامنئي : " المهم هو ان نعلم ان الحج يشكل احد نقاط قوة تعاليم الاسلام المقدسة. علماً ان نقاط القوة في الشريعة الاسلامية ليست بالقليلة، غير ان الحج ونتيجة للخصوصيات التي يكتنزها تجعله متقدماً. في الحقيقة يمكن القول ان الحج يشكل مصدر اقتدار المجتمع الاسلامي. الحج مدعاة لاقتدار الامة الاسلامية. وسوف يأتي اليوم الذي يدرك فيه المسلمون كيف ان الحج مدعاة لاقتدار واستحكام واعتلاء وعزة الامة الاسلامية. وذلك في ظل تحقق بلوغهم الفكري والعمل معاً على بلورة المعنى الحقيقي لكلمة الامة الاسلامية".

٣ ـ العدو المشترك

من جملة الموضوعات الهامة التي تشكل عائقاً دون تحقق التقريب بين المذاهب الاسلامية، محاولات العدو المشترك الذي لا يألوا جهداً عن اثارة الفتنة والتفرقة بين ابناء الامة الواحدة. ولا يخفى ان احد المبادىء الاولية للبلدان تتمحور حول تحديد المصالح ومحاول تحقيقها. وبدورها تحاول الدول الاستعمارية تحديد مصالحها والسعي للاستحواذ على ثروات الدول الاسلامية ومصادرة ارادتها. وفي هذا الصدد تواجه البلدان الاسلامية اليوم هجمة شرسة من قبل الناهبين الدوليين والصهيونية الدولية، تتصدرها محاولات مستميتة لإثارة الاختلافات والتفرقة بين هذه اليلدان وشعوبها المسلمة.

وتتجلى اهمية ملتقى الحج، أو مؤتمر الحج الاعظم، بالدور الذي يضطلع به الملتقى في التمهيد الى تشكيل الامة الاسلامية. الامة التي ينبغي لأفرادها العمل معاً على تمهيد الارضية لبلورتها وتحققها، بما في ذلك التعرف على أعدائها وخصومها والاحاطة بأهدافهم ومخططاتهم. واذا ما تحقق ذلك بمختلف ابعاده والتزاماته، بوسعه الارتقاء بالعالم الاسلامي الى ادراك القيم الانسانية والاخلاقية الرفيعة. ومثل هذا يعتبر في غاية الاهمية بالنسبة للعالم الاسلامية، وتأهيله لقيادة المجتمع الانساني ونصرة المظلومين والمستضعفين.

وتعتبر البراءة من المشركين في الحج، مؤتمراً عظيماً للتعرف على اعداء الامة الاسلامية. فاذا ما تحققت البراءة بشكلها السليم، سيتسنى مشاهدتها في اوساط جميع الشعوب الاسلامية. ولابد من الالتفات الى ان البراءة من المشركين يجب ان يسبقها التعرف على الاعداء اولاً، ومن ثم العمل على نفي وطرد العدو المشترك. ولا يخفى ان مثل هذه المعرفة يمكن ان تتحقق في الحج من خلال التجارب والتحرك الفكري والثقافي للنخب الفاعلة والمؤثرة في المجتمع. وعليه موسم الحج عبارة عن ملتقى عظيم للتعرف على الاعداء أو تعريفهم للمجتمعات الاسلامية. ولأجل تحقق ذلك يحظى التقريب بين الافكار والحرص على تناغمها وانسجامها بأهمية بالغة. . البراءة من المشركين في الحج هي في الحقيقة عبارة عن تشخيص العدو ولفت الانظار اليه، وكذلك سبل مواجهة الاعداء والاحاطة الكاملة بأهدافهم ومخططاتهم.

الحج في مواجهة أخطار
الإنعزال الإجتماعي

زهير الأعرجي

يعتبر الإنعزال الإجتماعي من أخطر العوامل التي تؤدِّي إلى الإضطرابات العقلية التي تصيب الفرد المحروم من المشاركة في النشاطات الإجتماعية. والنقطة الرئيسية هنا هي أنّ الحقيقة الخارجية التي يتم تصورها في ذهن الإنسان لا يمكن بناؤها إجتماعياً إلا بمساعدة الآخرين، فنحن لا نستطيع أن نفهم عقيدتنا في الخلق والتكوين والحياة الإجتماعية إلا عن طريق رسائل رمزية يحملها الآخرون إلينا. ولذلك فإنّ للفرد طاقة نفسية لإستيعاب مفردات وشروط الحياة الإجتماعية. وتلك الطاقة والقابلية النفسية لابدّ من إشباعها حتى يتحقق الإجتماع الإنساني الذي هو أصل بقاء الحياة الإنسانية على وجه الأرض.

ويعتبر العزل القسري والسجن الإنفرادي من

أكثر العقوبات قسوة ووحشية على الإنسان، لأنّ الفرد بحاجة دائمية إلى الإتصال بالآخرين حتى يستطيع أن يحافظ على إحساسه المستمر بالحقائق الخارجية ويحافظ على الشعور بهويته الذاتية. ولذلك فإنّ الأفراد الذين يعاقَبون بالسجن الإنفرادي لفترة طويلة يفقدون إحساسهم بالوقت مع انّهم يحسبون الأيام عن طريق خطوط يرسمونها على جدران السجون. وعندما يفقدون إحساسهم بالوقت، فإنّ الشك يبدأ بالسريان إلى كل شيء في حياتهم، فلا يستطيعون – لاحقاً – الإطمئنان إلى الحقائق الخارجية التي إختبروها في حياتهم العامة سابقاً.

ولكن الإنعزال والإغتراب الإجتماعية لا يكون دائماً نتيجة سجن إنفرادي أو عزل قسري، بل قد يتولد من ضعف الفرد أمام المشاكل الإجتماعية، أو فقدان الفرد إحساسه بمعنى واضح للحياة الإجتماعية، أو قد يتولد من إنهيار الجانب الأخلاقي الإجتماعي للفرد أيضاً. وذلك الضعف أمام المشاكل الإجتماعية نلمس تأثيراته النفسية في المجتمع الصناعي اليوم.

فالضعف الإنساني تجاه المشاكل الإجتماعية التي جلبها التصنيع الحديث في الدول الصناعية، وإنعدام العدالة الإجتماعية، وإنحلال الأواصر العائلية والعشائرية أدى إلى إحساس الفرد بغربته وإنفصاله عن المجتمع الكبير الذي يعيش فيه؛ لأنّ المشاكل الإجتماعية التي يعاني منها الفرد دون حلول واضحة تدفع الإنسان الغربي نحو الإدمان على المخدرات والكحول، وتجعله يسبح في بحر من الإضطرابات النفسية والعقلية.

أمّا فقدان الفرد لشعوره لمعنى الحياة الإنسانية وأهداف الخلق والوجود، فإنّه يساعد أيضاً على الإغتراب الإجتماعي، بإعتبار أنّ قلق الفرد وعدم إستقراره على عقيدة معينة يطمئن إليها لتفسير معاني الخلق والحياة والإنسان تعطي ذلك الفرد صورة مرعبة قاتمة عن الحياة ودور الإنسان فيها. وكذلك الحال إذا واجه الفرد غياباً للأعراف والقيم الأخلاقية التي آمن بها، فإنّه سيشعر بأنّ سلوكه الأخلاقي غير مقبول إجتماعياً من قبل الفئة المسيطرة على النظام السياسي والأخلاقي والإقتصادي. وهي خطوة أولية نحو الإغتراب الإجتماعي.

ولكن الإنعزال والغربة الإجتماعية إنّما هي تعبير عن شعور الفرد المنعزل عن إنسلاخه عن بقية الأفراد الذين يتعامل معهم. فالإغتراب الإجتماعي هو محاولة داخلية لرفض المجرى العام للمجتمع من قبل المغترب، والإحساس العميق بأنّه خُلق في زمان ومكان لا يلائم بيئته الإنسانية ومحيطه الإجتماعي. بمعنى أنّ الفرد المنعزل إجتماعياً يعلم في قرارة نفسه بأنّ المجتمع لا يكافئه مكافأة نفسية أو فكرية منصفة تساعده على الإندماج مع الآخرين، وتسهّل له السير مع السفينة الإجتماعية في عباب الزمن.

وبطبيعة الحال فإنّ الإنعزال الإجتماعي يعكس الحالة العقلية للفرد في تفسير أحداث الحياة الإنسانية. فهذا الإنعزال الإجتماعي ينشأ على صعيدين: الأوّل: الصعيد الذاتي، والثاني: الصعيد الموضوعي. فالإنعزال الذاتي يعكس الشعور الداخلي الذي يصيب الفرد بالغربة والإنسلاخ عن الحالة الإجتماعية، بل هو ثمرة من ثمرات إختلاف نظرة الفرد ورأيه وسلوكه المنعزل عن بقية الأفراد في المجتمع. أمّا الإنعزال الموضوعي فهو يعكس الإنعزال الذي يحصل نتيجة الظروف الإجتماعية الجديدة التي يولّدها التطور الصناعي. ومن أوائل من ناقش آثار هذا الإنعزال الإجتماعي "كارل ماركس" في نقده للنظام الرأسمالي ودور رأس المال ومستثمريه في سلب إنسانية الإنسان في الحياة الصناعية والحقوقية والإجتماعية.

ولابدّ لنا من ملاحظة الفرق – بدقة – بين الإنعزال الإجتماعي الذاتي والإنعزال الإجتماعي الموضوعي. فالإنعزال الإجتماعي الذاتي ما هو إلا إنسلاخ يولّده الفرد في نفسه بسبب عدم تطابق عقيدته الأساسية مع عقيدة المجتمع. ولهذا الإنعزال الإجتماعي مصاديق عديدة في التاريخ الإنساني، منها إنسلاخ الأنبياء (ع) قبل البعثة عن مجتمعاتهم الوثنية وتعبيدهم في أماكن نائية عن عيون المجتمع ونظامه الكافر حتى مجيء الوحي، كما هو واقع خاتم الأنبياء محمّد (ص) الذي كان يتعبد في غار حراء حتى نزول جبرئيل (ع) عليه. أمّا الإنعزال الإجتماعي الموضوعي فهو الإنغزال الذي يفرضه المجتمع على الأفراد عبر وسائله الحضارية، كالتصنيع الحديث مثلاً. فالأحداث التي رافقت الثورة الصناعية في أوروبا في القرن الثامن عشر وما صاحبها من إنتهاك لحرمة العمل والعمال، وإنكسار للأواصر العائلية والعشائرية، وإزدحام المدن، وثبات الأنظمة السياسية على الإيمان بالمذهب الفردي، كلها أدت إلى إحداث حالة عظيمة من الإغتراب الثقافي والإجتماعي بين مختلف فئات المجتمع خصوصاً فئة الشيوخ والعاجزين عن العمل والشباب الباحثين عن عقيدة تفسر لهم معاني الحياة الإنسانية. ولاشكّ انّ الإسلام – بإعتباره ديناً ورسالة عالمية غير مقيدة بزمان معيّن – أهتم بقضية الإغتراب الإنساني. وعالج تلك المشكلة عبر حثّه الأفراد على ضرورة الإنتماء الإجتماعي التي لاحظنا أهميتها الفائقة في كسر طوق الإضطرابات العقلية والنفسية. وكان الحج أحد مصاديق محاربة الإغتراب الإنسان على مرّ التاريخ. ونظرة خاطفة لطبيعة الحد في مكافحة الإنعزال الإجتماعي، تبين لنا النقاط التالية:

١-إنّ التهيؤ الإجتماعي للسفر يجمع الأفراد لفترة زمنية معيّنة، مما يساعدهم على كسر طوق العزلة الإجتماعية.

٢- إنّ فكرة الإستطاعة تشجّع الأفراد على العمل الجاد من أجل التحصيل المالي والإكتفاء، وهذا يبعد الأفراد عن الكسل ويبعدهم عن الإنعزال أيضاً، لأنّ التكسب غالباً ما يكون جماعياً.

٣- إنّ مناسك الحج تعكس طبيعة التجمع الإنساني. فالمسلك الجماعي في العبادة يمنح الفرد شعوراً بالإندماج مع الأمّة الكبيرة المنتشرة في كل بقاع الأرض.

٤- إنّ الإسلام يكافح الإنعزال الذاتي عب حثّ

الفرد على الإتصال بالله سبحانه وتعالى. ويكافح الإنعزال الموضوعي عبر تطبيق الأحكام الشرعية على المجتمع. وبذلك تسد الشريعة الطريق على الإنعزال والإغتراب الإجتماعي بشكل مُحكَم. ولاشكّ أنّ الإجتهاد في الشريعة يعطي الفقيه فرصة واسعة لمعالجة المشاكل الإجتماعية التي تولّدها الإكتشافات والإختراعات الحديثة وما يلحقها من تصنيع، بما يتناسب مع حاجات الفرد والنظام الإجتماعي، آخذاً بنظر الإعتبار الضرورات الإجتماعية التي تدعو إلى التقدم التقني والتصنيع الحديث.

٥- العدالة الإجتماعية في الإسلام والمساعدات المتبادلة بين الأفراد أنفسهم، وبين الأفراد والدولة، وصلة الرحم، كلها تقلّل من فرص الإنعزال الإجتماع. والحج يعكس جانباً من جوانب العدالة الإجتماعية الكلية في الإسلام.

٦-إنّ من أهم أسباب الإنعزال الإجتماعي بين أفراد الأقليات في الدول الصناعية في أوروبا وأمريكا هو إنتماء هؤلاء الأفراد إلى أقليات عرقية مختلفة عن العرق العام المسيطِر على المجتمع. وبسبب الحرمان الإقتصادي والإجتماعي لهؤلاء وعدم توفر فرص متساوية لأبنائهم، فإن ذلك يجعلهم يعيشون في غربة شديدة. بينما تساهم أعمال الحج في شدّ وتماسك الأفراد على إختلاف أعراقهم البشرية وألوانهم ولغاتهم.

٧-يعتبر التقدم في السن أحد أسباب الإنعزال الإجتماعي في المجتمعات الصناعية الغربية بسبب عدم قدرة المسنّ على الإنتاج مما تسبب له مشاكل إقتصادية جمّة. وإذا أضفنا إلى ذلك مشاكل إنحلال الروابط الأسرية بسبب التصنيع وتغيير الخارطة السكانية، يتضح لنا أن من أكثر الأمراض النفسية ظلاماً وتأثيراً على الفرد هو الإنعزال الإجتماعي للمسنّين. إلا انّ الإستطاعة الشرعية لأداء الحج غالباً ما تحصل عندما يتوسط عمر الإنسان ويجمع مالاً من عرق جبينه ليحقق شروط الإستطاعة الشرعية.

وليس هناك تمييز شرعي من أي لون تجاه المسنين؛ لأنّ الدين ضمن منهجه الأخلاقي حثّ على إحترام الكبير وضمنَ معيشته على الصعيد العائلي على الأقل، أو على صعيد الدولة. ولما كانت العلاقات العائلية في الإسلام متماسكة كان المسنّ أكثر الأفراد ثراءً في الخبرة والتعبد والعلاقات الإجتماعية، وأكثرهم بعداً عن الإنعزال الإجتماعي.

وبكلمة، فإنّ الإطار الإجتماعي لأعمال ومناسك الحج، تدفع الأفراد نحو التماسك والتعاون الذي يتحول لاحقاً إلى لبنة من لبنات بناء الدولة الإسلامية العالمية. ولاشكّ انّ النشاطات الشرعية للحج الإسلامي إنّما تساعد جميع الأفراد على كسر طوق الإنعزال الإجتماعي والغربة الإنسانية التي نلاحظ مساوئها النفسية في عالم اليوم.

المصدر: كتاب مباني النظرية الإجتماعية في الإسلام

الحج في نهج البلاغة

■ تأليف الشيخ فارس حسون

قال تعالى في محكم كتابه الكريم: «ولله على النّاس حجّ البيت من استطاع إليه سبيلاً»([١])، تدلّ الآية على وجوب الحج مع توفّر الشرائط المطلوبة، ثم بعد حصول الشرائط لابدّ وأن يكون العمل خالصاً لله تعالى لا يشوبه شيء، كما قال تعالى: «وأتمّوا الحجّ والعمرة لله»([٢])، ثم تُبيّن سائر الآيات وكذلك الروايات كيفية أداء الحج ومناسكه.

ولصعوبة الحج وما يكتنفه من مشاق ومصاعب، افترضه الله تعالى مرة واحدة في العمر، وجعل في تكراره الفضل الكثير، حتى قال أميرالمؤمنين (ع): «الحج جهاد كل ضعيف»([٣])، وقال (ع): «إنّ أفضل ما توسّل به المتوسّلون إلى الله سبحانه... حجّ البيت واعتماره فإنّهما ينفيان الفقر ويرحضان الذّنب»([٤]) وفي نص آخر يقول (ع): «الله الله في بيت ربّكم لا تخلوه ما بقيتم فإنّه إن ترك لم تناظروا»([٥]).

ثم انّ أميرالمؤمنين (ع) يشرح بعض مصاعب الحج، وانّ الله تعالى اختبر الأولين والآخرين به ويقول: «ألا ترون أنّ الله سبحانه اختبر الأوّلين من لدن آدم (ع) إلى الآخرين من هذا العالم بأحجارٍ لاتضرّ ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع، فجعلها بيته الحرام الّذي جعله للنّاس قياماً، ثمّ وضعه بأوعر بقاع الأرض حجراً، وأقلّ نتائق الدّنيا مدراً، وأضيق بطون الأودية قطراً، بين جبالٍ خشنةٍ ورمالٍ دمثةٍ وعيونٍ وشلةٍ وقرًى منقطعةٍ، لا يزكو بها خفٌّ ولا حافرٌ ولا ظلٌّف.

ثمّ أمر آدم (ع) وولده

أن يثنوا أعطافهم نحوه فصار مثابةً لمنتجع أسفارهم، وغايةً لملقى رحالهم تهوي إليه ثمار الأفئدة من مفاوز قفارٍ سحيقةٍ ومهاوي فجاجٍ عميقةٍ، وجزائر بحارٍ منقطعةٍ، حتّى يهزّوا مناكبهم ذلّلاً يهلّلون لله حوله ويرملون على أقدامهم شعثاً غبراً له، قد نبذوا السّرابيل وراء ظهورهم وشوّهوا بإعفاء الشّعور محاسن خلقهم، ابتلاءً عظيماً وامتحاناً شديداً واختباراً مبيناً وتمحيصاً بليغاً، جعله الله سبباً لرحمته ووصلةً إلى جنّته.

ولو أراد سبحانه أن يضع بيته الحرام ومشاعره العظام بين جنّاتٍ وأنهارٍ وسهلٍ وقرارٍ، جمّ الأشجار داني الثّمار ملتفّ البنى متّصل القرى، بين برّةٍ سمراء وروضةٍ خضراء وأريافٍ محدقةٍ وعراصٍ مغدقةٍ ورياضٍ ناضرةٍ وطرقٍ عامرةٍ، لكان قد صغر قدر الجزاء على حسب ضعف البلاء، ولو كان الأساس المحمول عليها والأحجار المرفوع بها بين زمرّدةٍ خضراء وياقوتةٍ حمراء ونورٍ وضياءٍ لخفّف ذلك مصارعة الشّكّ في الصّدور، ولوضع مجاهدة إبليس عن القلوب، ولنفى معتلج الرّيب من النّاس، ولكنّ الله يختبر عباده بأنواع الشّدائد ويتعبّدهم بأنواع المجاهد ويبتليهم بضروب المكاره إخراجاً للتّكبّر من قلوبهم وإسكاناً للتّذلّل في نفوسهم، وليجعل ذلك أبواباً فتحاً إلى فضله وأسباباً ذللاً لعفوه»([٦]).

يشير أميرالمؤمنين (ع) في هذا النص الشريف إلى عدّة نقاط نوجزها فيما يلي:

١ـ انّ بيت الله الحرام كان موجوداً منذ زمن آدم (ع)، وجعله الله تعالى موضعاً لاختبار عباده، يدلّ عليه قوله تعالى عن لسان إبراهيم(ع): «ربّنا إنّي أسكنت من ذرّيّتي بوادٍ غير ذي زرعٍ عند بيتك المحرّم»([٧])،

حيث تدلّ على وجود البيت آنذاك، وقوله تعالى أيضاً: «إنّ أوّل بيتٍ وضع للنّاس للّذي ببكّة مباركاً»([٨])، وهناك شواهد أخرى وردت في كتب السيرة والتاريخ تؤيّد هذا([٩]).

ثم انّ هذا البيت كان معظّماً ومحترماً عند جميع الأمم، قال العلامة الطباطبائي في تفسيره: «كانت الكعبة مقدّسة معظّمة عند الأمم المختلفة، فكانت الهنود يعظمونها ويقولون: انّ روح «سيفا» وهو الاقنوم الثالث عندهم حلّت في الحجر الأسود حين زار مع زوجته بلاد الحجاز. وكانت الصابئة من الفرس والكلدانيين يعدونها أحد البيوت السبعة المعظمة، وربما قيل انّه بيت زحل لقدم عهده وطول بقائه.

وكانت الفرس يحترمون الكعبة أيضاً، زاعمين انّ روح هرمز حلّت فيها، وربما حجّوا إليها زائرين، وكانت اليهود يعظّمونها ويعبدون الله فيها على دين إبراهيم، وكان بها صور وتماثيل منها تمثال إبراهيم وإسماعيل وبأيديهما الأزلام، ومنها صورتا العذراء والمسيح، ويشهد ذلك على تعظيم النصارى لأمرها أيضاً كاليهود.

وكانت العرب أيضاً تعظّمها كل التعظيم وتعدّها بيتاً لله تعالى، وكانوا يحجّون إليها من كل جهة، وهم يعدّون البيت بناء لإبراهيم، والحج من دينه الباقي بينهم بالتوارث»([١٠]).

وهذا مفاد قوله تعالى: «جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للنّاس»([١١]).

٢ـ انّ الله تعالى تتميماً للاختبار والابتلاء جعل البيت في أوعر وأصعب بقاع الأرض، فهي غير صالحة للزرع وغير صالحة أيضاً لحياة الحيوان فيها، فلا يزكوا بها خفّ ولا حافر ولا ظلف، وهذا مفاد قوله تعالى عن لسان إبراهيم (ع): «ربّنا إنّي أسكنت من ذرّيّتي بوادٍ غير ذي زرعٍ»([١٢]).

٣ـ من خصائص وأسرار البيت ـ رغم ما يكتنفه من صعوبات طبيعية مرّت الإشارة إليها وصعوبات المناسك أيضاً ـ أنّه «تهوي إليه ثمار الأفئدة» كما ورد في دعاء إبراهيم (ع): «فاجعل أفئدةً من النّاس تهوي إليهم»([١٣]).

وقد ذكر أميرالمؤمنين (ع) هذا الشوق في تمثيل رائع حيث قال: «ويألهون إليه ولوه الحمام»([١٤]) أي يشتدّ شوقهم إليه حتى تكاد تذهب عقولهم من شدّة الاشتياق، كاشتياق الحمام إلى وكرها.

٤ـ «جعله الله سبباً لرحمته ووصلةً إلى جنّته» يشير (ع) إلى انّ الغفران والرحمة الإلهية من ثمار الحج، وهذا ما ورد التأكيد

عليه في روايات كثيرة، فعن الإمام الصادق (ع) أنّه قال: «عليكم بحج هذا البيت فأدمنوه، فإنّ في إدمانكم الحج دفع مكاره الدنيا عنكم، وأهوال يوم القيامة»([١٥]).

وعن الإمام السجاد (ع) أنّه قال: «حق الحج أن تعلم أنّه وفادة إلى ربك، وفرار إليه من ذنوبك، وبه قبول توبتك، وقضاء الفرض الذي أوجبه الله عليك»([١٦]).

وعن الإمام الصادق (ع) أيضاً في ثواب من حج أربع حجج: «من حجّ أربع حجج لم تصبه ضغطة القبر أبداً، وإذا مات صوّر الله الحج الذي حج في صورة حسنة من أحسن ما يكون من الصور بين عينيه تصلي في جوف قبره حتى يبعثه الله من قبره، ويكون ثواب تلك الصلاة له، واعلم انّ صلاة من تلك الصلاة تعدل ألف ركعة من صلاة الآدميين»([١٧]).

٥ـ انّ الحكمة في جعل البيت مكتنفاً بهذه الشدائد والمصاعب، اختبار العباد وإثابة المجيب، زائداً إخراج التكبر من القلوب بالتعبد لأداء المناسك الشاقّة من الإحرام والالتزام بتروكاته إلى السعي والتقصير وأيام عرفات ومنى وغيرها من المناسك، وإلّا فإنّ الله تعالى كان قادراً على رفع جميع هذه المشاق بأن يجعل البيت في أفضل أماكن الأرض ماءاً وكلاءاً.

نعم هذا هو الحج، وهذه ثماره ونتائجه، ففي الدنيا الرزق والشوق، وفي القبر الأمن والأمان، وفي الآخرة المغفرة والرضوان.

([١]) آل عمران: ٩٧.
([٢]) البقرة: ١٩٦.
([٣]) نهج البلاغة، قصار الحكم: ١٢٩.
([٤]) نهج البلاغة، الخطبة: ١٠٩.
([٥]) نهج البلاغة، الكتاب: ٤٧.
([٦]) نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٢.
([٧]) إبراهيم: ٣٧.
([٨]) آل عمران: ٩٦.
([٩]) راجع شرح النهج لابن أبي الحديد ١٣: ١٦١.
([١٠]) الميزان للطباطبائي ٣: ٣٦١.
([١١]) المائدة: ٩٧.
([١٢]) إبراهيم: ٣٧.
([١٣]) إبراهيم: ٣٧.
([١٤]) نهج البلاغة: الخطبة: ١.
([١٥]) أمالي الطوسي: ٦٦٨.
([١٦]) الخصال للشيخ الصدوق: ٥٦٦.
([١٧]) الخصال للشيخ الصدوق: ٢١٥.

الحج الإبراهيمي ودوره في الحضارة الإسلامية الحديثة

ان مصطلح الحضارة الإسلامية الحديثة هو مصطلح جديد تم التطرق اليه في العقود الأخيرة ويعتبر من المواضيع المركزية في المنظومة الفكرية لسماحة آية الله الخامنئي. وبما أنه قد تم تأليف عدد من الكتب حول ماهية الحضارة الإسلامية الحديثة وطبيعتها وأبعادها ومكوناتها وخصائصها، إلا أنه لايزال لم يتم التطرق الى العديد من أبعاد وجوانب هذا الموضوع وهناك مجال للقيام بعديد من الأبحاث في هذا المجال. ومنها العوامل الدخيلة والمساهمة في إنشاء واتساع وتطوير الحضارة الإسلامية الحديثة والتي تستحق بلا شك الكثير من الاهتمام والدقة.

من ناحية أخرى، إن للحج مكانة خاصة ومتميزة في الإسلام. فالحج من النوز والقيم الالهية الخالدة، ومركز المعرفة الإسلامية وفريضة استثنائية تحتوي على مجموعة من القيم الإسلامية التي لا يمكن مشاهدة جميعها معا في أي واجب آخر. وفي اثناء ذلك، يمكن للموقف الحضاري من الحج

أن يظهر وجهًا ومظهرًا جديدًا له في أعين المسلمين ويضاعف دوره وتأثيره على الأمة الإسلامية. وفيما يتعلق بتعريف الحضارة، بصورة عامة يمكن االاشارة الى نهجين او اتجاهين: اتجاه مادي و اتجاه ذات بعدين. فالإتجاه المادي غالبا مايعتبر الحضارة ظاهرة مادية ويسلط الضوء على صورة موضوعية لها. ومن زاوية وجهة النظر هذه، تعد الحضارة في الأساس ظاهرة موضوعية تتجلى في مظاهر مثل الفن والعمارة والتقنيات والصناعات والمنظمات الإدارية والسياسية.

لكن الإتجاه الثاني يعتبر كلا من الأبعاد المادية وغير المادية ضرورية للحضارة. ومن وجهة النظر هذه، فإن الأساس الرئيسي للحضارة يقوم على عناصر غير مادية، وخاصة الدين والأخلاق والثقافة، والتطورات المادية هي مظاهر الحضارة. ويسود هذا الإتجاه بين المفكرين المسلمين.وبهذه الطريقة يمكن القول أن الحضارة هي مجال ومنصة للبشرية للتقدم في المجالين المادي والمعنوي وتحقيق أهدافها الإلهية المنشودة (مهدي نجاد، ٢٠٢٢م ،الصفحة . ١٨١-١٨٢).

مفهوم الحضارة الإسلامية الحديثة

إن فكرة الحضارة الإسلامية الحديثة، التي اقترحها قائد الثورة المعظم، تستمد جذورها في الحضارة الإسلامية العريقة السابقة وهي من جهة أخرى، تتعارض بشل ما مع الحضارة الجديدة للغرب. ويعتبر آية الله الخامنئي الحضارة الإسلامية السابقة مصدر فخر للمسلمين وان هنا إمكانية لظهور مثل هذه الحضارة في العصر الحالي أكثر مما كانت عليه في الماضي (قائد الثورة المعظم ١٣٩٥/٥/١١ هجري- شمسي). (ان الأمة الإسلامية تتمكن من خلال العمل الجهادي الدؤوب أن تصمم وترسي أسس حضارة إسلامية مناسبة لهذا العصر وتحققها-على ارض الواقع – وتقدمها للبشرية (قائد الثورة المعظم ١٣٩٤/١٠/٨ ه-ش). وبناءً على هذا الرأي، فإن مكانة المناسك والطقوس الدينية الشاملة كالحج ستكون بارزة جدًا في تحقيق هذه الحضارة.

آثار الحج على الحضارة الإسلامية الحديثة

نظراً لأهمية الحج في الإسلام، يتبادر الى اذهاننا هذا السؤال: "في أي من المجالات يمكن أن يؤثر الحج على الحضارة الإسلامية الحديثة؟". و فيما يلي نشير الى أهم هذه المجالات.

١. الحج مظهر من مظاهر الشمولية والتناسق المعنوي والمادي

يمكن اعتبار الشمولية والتناسق المعنوي والمادي أهم سمة من سمات الحضارة الإسلامية الحديثة . طبعا ان ازدواجية أبعاد الحضارة الإسلامية الحديثة لا يعني عدم وجود أولوية بينهما، وذلك لأن المعنوية هي المحور السائد في هذه الحضارة. وفي الحضارة الإسلامية الحديثة، هناك تقدم وتطور مادي، لكنه تقدم وتطور ذات اتجاه معنوي يسعى لتحقيق الأهداف المعنوية والروحية السامية، ولايهدف فقط الى تحقيق الرفاه والإزدهار مادي والمتعة واللذائذ المادية التي لاحدود لها.

من ناحية أخرى، فإن الحج هو الينبوع المتدفق للمعنوية الذي يجري فضله باستمرار على العالم الإسلامي والمسلمين حتى يستفيد منه كل فرد وكل جماعة بقدر طاقتهم وقدرتهم. وعندما ينجذب الناس إلى مركز أداء واجب الحج الإلهي، فإنهم يتركون نطاق الحياة المادية ويدخلون كاملا في أجواء روحية ومعنوية. وفي هذه الأجواء الروحية والمعنوية، يطهرالإنسان نفسه بشكل حقيقي ويعود. والحج يبدأ بكلمة "لبيك" أي الأستجابة للنداء الإلهي .و جميع شعائر وأعمال الحج، مثل حالة الإحرام، ولباس الإحرام، والطواف، والسعي، والصلاة، والوقوفين، كل واحدة منها تجذب بطريقة ما ركنًا من كياننا إلى المعنوية والى الله سبحانه وتعالى ((قائد الثورة المعظم ١٣٧٤/١/١٦ هـ.ش).

٢. توحيد الأمة في الحج. خطوة أساسية في تأسيس الحضارة الإسلامية الحديثة

ان الحضارة في الواقع هي نتاج جهود جماعية ومتماسكة لمجموعة من الناس. لذلك، فإن بناء الحضارة من المستحيل ان يتحقق دون التلاحم والتضامن بين عناصرها البشرية. ومن ضروريات تحقيق الحضارة الإسلامية الجديدة في العالم، في الخطوة الأولى، هو خلق صلة ورابطة ووحدة بين مكوناتها، أي المسلمين.و يمكن تحقيق مثل

هذا التماسك والتلاحم والتضامن الشامل بطرق مختلفة.

ويعتبر الحج من أهم المنطلقات الفريدة لخلق التلاحم والتضامن الاجتماعي بين الأمة الإسلامية. وهذه الصلة والرابطة تتمكن من أن تبني مجتمعًا إسلاميًا كبيرًا وموحدًا على شكل الأمة الإسلامية، والذي سيكون أساسًا لتحقيق الحضارة الإسلامية الجديدة. والحج فرصة فريدة لحل الخلافات والاستنباطات والافكارالخاطئة وخلق قدر أكبر من التفاهم والتعارف بين المسلمين، فالاعتماد على المبادئ والمحاور المشتركة. وتضامن المجتمع الإسلامي العظيم هو أحد الأهداف الاجتماعية للإسلام، التي يتم تعلمها بموضوعية أثناء مناسك الحج. حيث يبدو كأنهم جميعًا يمارسون ويختبرون الوحدة والتضامن بلباس موحد، وعمل واحد، وكلام واحد وهدف واحد.

إن الحج، بالاعتماد على العناصر المشتركة للهوية الإسلامية مثل إله واحد، وقبلة واحدة مشتركة، ونبي واحد، وكتاب واحد، والممارسة العملية للحياة الاجتماعية المشتركة في إطار زمني محدد، إلى جانب أداء نفس الأعمال والمناسك، يعتبر افضل منطلق لتعزيز وحدة المجتمع الإسلامي، وتضعيف وازالة الاختلافات الدينية والثقافية والسياسية، ويمكن أن تصبح هذه الوحدة الاجتماعية أساسًا لخلق الحضارة الإسلامية. في الواقع، أن تعزيز الهوية الدينية للمسلمين على شكل الأمة الإسلامية يمكن ان يؤدي إلى خلق هوية دينية مشتركة، وفي الخطوة التالية، أن يجسد الحضارة الإسلامية الجديدة على ارض الواقع .

٣. تحديد الهوية الحضارية وفرقها عن بقية الحضارات في الحج

إن تحديد هوية المرء هو أمر ذو اتجاهين: تحديد الذات وتحديد الآخر والاختلاف بينهما. وهذا الامر يصدق أيضًا على موضوع مناقشة الحضارة، وجزء من الهوية الحضارية هو تحديد الآخر الحضاري. ومن خصائص الحج التي تعتبر عاملاً من عوامل وحدة المسلمين وتحدد بطريقة ما الحدود ما بين المجتمع الإسلامي وغير الإسلامي، هي قضية البراءة من العدو،يعني الشرك والمشركين ومحاربتهما. والواقع ان الحضارة الإسلامية بطبيعتها الذاتية لاتتلائم مع الحضارة القائمة على الشرك بالله.

طبعا لا يمكن الحديث عن الحضارة الإسلامية بمعناها الحقيقي ،اذا لم يكن هناك اعتقاد بالتمييز بينها وبين الحضارة التي تعارض أساسا الدين والمعنويات والإسلام بشكل خاص.والتفسير الحضاري للبراءة من المشركين يعني التمييز بين الحضارة الإسلامية والحضارة غير الإسلامية وإعلان البراءة منها.

والحج الإبراهيمي والمحمدي والعلوي والحسيني، هو الحج المفعم بالعقيدة بالله والخضوع لقدرته وسلطانه، ورفض سلطة الطغاة والظالمين. وهذا الكلام يعني أن الحج بدون البراءة من المشركين ليس حجًا حقيقيًا وان النبي وأهل البيت (ع) سوف يرفضون مثل هذا الحج ولن يوافقوا عليه (مهدي نحاد، ص ١٩٢-١٩٩ ،١٤٠١هجري-شمسي).١

المصدر

- بيانات قائد الثورة المعظم:
https://www.farsi.khamenei.ir

مهدي نجاد، السيد رضا، ربيع وصيف عام ١٤٠١هجري-شمسي،٢٠٢٢م

١. "تحليل أوجه الترابط والقواسم المشتركة بين الحج والحضارة الإسلامية الحديثة في فكر آية الله الخامنئي (دام ظله)" مجلة أبحاث خطاب الحضارة الإسلامية، السنة الثانية، العدد الثالث، ص ١٧٧-٢٠٢

التعليم والتعلم في الحج الإبراهيمي

مجتبى حيدري

يحظى موضوع التعليم والتعلم بمكانة خاصة في الإسلام. في الأساس، والواقع ان المجتمع بدونهما، سيبقى يراوح في مكانه ويتوقف عن التقدم والمضي في مسيرالتطور والازدهار والتكامل. ويمكن أن يكون التعليم والتعلم على شكل فردي أو جماعي. وآليات وسبل التعليم والتعلم المختلفة تحدد بدورها أيضًا ما إذا كان التعلم والتعليم فرديًا أم جماعيًا. ويعتبر الحج من آليات وسبل التعليم والتعلم في الاسلام. حيث يتعلم الناس خلال اداء مناسكها أشياء وامور مهمة، امور تحقق السعادة والرفاهية للمجتمع الاسلامي ومن المزايا والخصائص المهمة للحج في هذا المجال هو توفر امكانية التعليم والتدريب الفردي والجماعي معا.

وفيما يتعلق بالتعليم الفردي، فقد ذكر التاريخ العديد من النماذج التي تدل على استغلال الرسول (صلى الله عليه وسلم والأئمة المعصومين (عليهم السلام) لأيام الحج من اجل توعية الناس على صعيد تبليغ ونشر حقيقة الدين الإسلامي وتعليم التعاليم الإسلامية. وخلال الحصار الاقتصادي الذي استمر لمدة ثلاث سنوات في شعب أبي طالب، كانت ايام الحج الفرصة الوحيدة لتبليغ ونشر الإسلام. وقد خاطب الرسول صلى الله عليه واله وسلم الناس في حج الوداع- بعد تطرقه لمواضيع مختلفة- وقال: (فليبلغ الحاضر الغائب) (الطبرسي، الاحتجاج، المجلد. ١، ص ٦٢). كما تعتبر مناظرات الإمام الصادق(ع) العديدة مع أناس مثل زنديق المصري (الكليني، الكافي، المجلد ١، ص ٧٢). وابن أبي العوجاء (الكليني، الكافي، ج ١، ص ٧٤)، وسفيان الثوري (الكليني، الكافي، المجلد ٦، ص ٤٤٣) في الحج؛ وكذلك حوار ونصيحة الإمام الصادق (ع) الى احد الشخصيات الشيعية عند طوافه حول الكعبة، نماذج اخرى في هذا المجال. من هنا، يعتبر الحج فرصة ينبغي انتهازها والتفكير بها واخذها بنظر الإعتبار ليتعرف كل واحد من حجاج في بيت الله الحرام على التعاليم الدينية على نطاق أكبر وأوسع.

وفيما يتعلق بموضوع التعليم الجماعي، فإن أجواء الحج تمتاز بحالة خاصة يتعلم خلالها الحجاج امور مهمة كثيرة وبدورها تنتقل منهم إلى جميع المسلمين. فيما يلي نشير الى تأثير الحج الإبراهيمي في تعليم المجتمع الإسلامي.

١. الحج وتعليم التعاليم الدينية

ان الحج أداة فعالة ومنصة مناسبة لتعليم ونشر الثقافة الإسلامية الأصيلة والديناميكية وتعاليمها في العالم الإسلامي. ويشتمل الحج الذي يتم إجراؤه عبر التجمع الكبير للمسلمين في أرض

مكة المكرمة في أيام معدودة معينة، على بعض أهم التعاليم الاجتماعية للإسلام، مثل المودة والأخوة الاسلامية مع بعضهم البعض (التولي)، والبراءة من المشركين وأعداء الإسلام (التبري)، ووحدة المسلمين وتماسكهم، وتجاهل الاختلافات، والمساواة بين جميع المسلمين من كل حدب وصوب وممن أي عرق وجنس ...

والحج فرصة مناسبة جدا لتبليغ ونشر التعاليم الإسلامية. ولهذا كان أهل البيت (عليهم السلام) يستغلون هذه الفرصة أيضًا. وقد ذكر التاريخ العديد من النماذج التي تدل على استغلال الرسول صلى الله عليه وسلم والأئمة المعصومين (عليهم السلام) لأيام الحج من اجل توعية الناس على صعيد تبليغ ونشر حقيقة الدين الإسلامي وتعليم التعاليم الإسلامية. وفي بداية رسالته، استغل الرسول صلى الله عليه وسلم مراسم الحج لنشر الدين. وكذلك، في زمن الاستبداد، عندما كان الخلفاء والسلاطين لا يسمحون للمسلمين بنشر التعاليم والأحكام الدينية، تمكن الناس من حل مشاكلهم من خلال استغلال فرصة الحج كما تمكنوا من خلال الاتصال بالأئمة المعصومين (ع) وعلماء الدين الكبار، ان يسلطوا الضوء على أحكام الإسلام وسنة النبي صلى الله عليه وواله وسلم. (مكارم الشيرازي التفسير النموذجي(تفسير نمونه) ج ١٤ ص ٨٠).

٢. الحج وتعزيز القيم الروحية والمعنوية

في رحلة الحج، هناك احتمال أن يقوم الجمهور، تحت تأثير الجو الروحي للحج، بتعديل معتقداتهم بناءً على القيم والأعراف الدينية (المحمدي، علم أمراض الحج، ص ٣٣٤-٣٣٥). قيم مثل ضرورة مراعاة الحدود الإلهية، وعبادة الله وخدمته، وكره الدنيا وروعتها، والأخوة الدينية، والعدالة، والمساواة، والصبر والتسامح في المشاكل، وضرورة مراعاة الأخلاق الإسلامية والعديد من التعاليم والقيم الإسلامية الأخرى.، والحج في الواقع، يعتبر وسيلة وأداة يستخدمها الحجاج للتعرف على المعرفة والقيم الدينية، وكذلك لنقل هذه المعرفة والقيم للآخرين (المحمدي، باثولوجيا الحج، ٢٠١٣، ص ٩٣).

٣. الحج وزيادة الوعي الإسلامي

ومن المعارف التي يجب أن تمتلكها الأمة الإسلامية معرفة أوضاع المسلمين وحيل الأعداء وخدعهم وطرق التعامل مع الأعداء وسبل مواجهتهم الى جانب معرفة سبل تعزيز الوحدة بين المسلمين. وقد استغل أهل البيت (ع) الحج في المناسبات الخاصة للتعبير عن آرائهم وتعزيز الوعي بين المجتمع. قبل وفاة معاوية بسنتين ألقى الإمام الحسين (ع) خطبة في منى وبحضور الأنصار وأصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وبين لهم طبيعة معاوية وأعماله (ابن شعبه، تحف). العقل ص ٢٣٧). كما يقول عمرو بن أبي المقدم (أحد أصحاب الإمام الصادق ع) أنه يوم عرفة رأيته يقول بصوت مرتفع:

يا أيها الناس كان رسول الله (ص) قائداً وإماماً. ثم علي بن أبي طالب (ع)، ثم الحسن (ع)، ثم الحسين (ع)، ثم علي بن الحسين (ع)، ثم محمد بن علي (ع)، ثم أنا.

وكرروا هذه الجمل ثلاث مرات في أربع اتجاهات (أمامي وخلفي، يمين ويسار (كيليني، الكافي، ج ٤، ص ٤٦٦).

والحج هو مجال التوعية العامة بآلام المسلمين وقدراتهم ويوفر الأساس للمشاركة العامة والاجتماعية للناس في حل المشكلات. ويتيح فرصة التعرف على أوضاع الأمم ومؤامرات وخططات الأعداء. فمعرفة النفس ومعرفة الأمة الإسلامية وقدراتها العظيمة ومعرفة الأعداء وخططهم ومخططاتهم من الأمور التي تتحقق في الحج.

> **ان الحج أداة فعالة ومنصة مناسبة لتعليم ونشر الثقافة الإسلامية الأصيلة والديناميكية وتعاليمها في العالم الإسلامي. ويشتمل الحج الذي يتم إجراؤه عبر التجمع الكبير للمسلمين في أرض مكة المكرمة في أيام معدودة معينة، على بعض أهم التعاليم الاجتماعية للإسلام، مثل المودة والأخوة الاسلامية مع بعضهم البعض (التولي)، والبراءة من المشركين وأعداء الإسلام (التبري)، ووحدة المسلمين وتماسكهم، وتجاهل الاختلافات، والمساواة بين جميع المسلمين من كل حدب وصوب وممن أي عرق وجنس ...**

٤. الحج والترويج الثقافي للعالم الإسلامي

الحج هو تجمع عالمي للإسلام، تشمل فوائده مواجهة القيم الإنسانية الناتجة عن اللقاءات الأخوية مع شعوب ودول أخرى على كوكب الأرض؛ وهذه من فوائد الحج التي ذكرها الله تعالى على هذا النحو: "ليشهدوا منافع لحوم (الحج: ٢٨)" (حكيمي وغيره، الحياة ج ١ ص ٤٥٧). أيام الحج هي أفضل وقت لتفاعل الأفكار والتبادل الثقافي بين المسلمين. إن وجود المسلمين من جميع أنحاء العالم في مكان معين، ولقاءهم وتواصلهم مع بعضهم البعض، يوفر الأساس لنقل الثقافات بينهم. بالإضافة إلى ذلك، أثناء الحج، يمكن لمفكري العالم الإسلامي أن يجتمعوا حول بعضهم بعضا. واليوم، في العديد من رحلات الحج، يتعرف الحجاج على المجموعات العلمية والدينية من دول أخرى في العالم، وفي بعض الحالات يستمر هذا التعارف حتى بعد الانتهاء من رحلة الحج (صالحي، استعراض لمختلف وظائف مناسك الحج) ص ١١٧).

ان التبادل الثقافي هو عملية طبيعية، وتتم بارتياح بين الأطراف المختلفة بسبب مجاورة البلدان لبعضها، وان زيارة الشعوب لبلدان بعضها البعض، ودراسة عادات وتقاليد وثقافات بعضها البعض، تجعل كل أمة تتعرف على نقاط قوتها ونقاط ضعفها الثقافية (Zand Vakili، الأنثروبولوجيا الثقافية، ١٣٨٣، ص ٧٤). وهذا التواصل والتبادل الثقافي الذي يحدث في

الاجتماع الكبير والعظيم للحج يؤدي مما لاشك فيه الى أسباب تعزيز وإثراء ثقافة المجتمعات الإسلامية في جميع انحاء العالم.

٥. تصحيح الانحرافات الفكرية والعقائدية في المجتمع الإسلامي وتقريب وجهات النظر

الحج ملتقى للمسلمين من جميع الفرق والمذاهب ومن جميع الأديان والمعتقدات ويستطيع الحجاج في هذا الإجتماع العظيم، التعرف على صحة أو عدم صحة وجهات نظرهم وآراء الآخرين من خلال مراقبة تصرفات الآخرين والتحدث معهم. كما أن وجود الحجاج من جميع المذاهب الإسلامية في مكان واحد يقربهم من بعضهم البعض ويزيد من حبهم وعاطفتهم تجاه بعضهم البعض. بالإضافة إلى ذلك، إن الحج هو أيضًا المكان الذي يحضر فيه علماء الإسلام. وبالتالي يتيح هذا المكان الفرصة للمفكرين المسلمين لمناقشة وجهات النظر المختلفة بين المذاهب الإسلامية والتعرف على حقائق الامور ومعرفة الصحيح من الخطأ ،وهذا مايؤدي بدوره الى الحد من الاختلافات الفكرية والأيديولوجية بين المسلمين ويزيد من تلاحمهم.

دور الحج في الوحدة الإسلامية

الحج احد العبادات الاسلامية المليئة بالاسرار والتي تحظى بأبعاد مختلفة. وكل من أبعادها تؤدي دورًا أساسيًا في تنمية الفرد والمجتمع، وفي والوحدة والتماسك الإسلامي، وفي خلق الهوية الحضارية والثقة بالنفس. ومن الأبعاد والمظاهر المهمة للحج هو بعده الموحد للأمة الإسلامية، والذي سنشير اليه في هذا المقال.

اهمية الوحدة

القرآن الكريم يبين الوحدة كمنهج واستراتيجية للمسلمين حيث جاء فيه: (وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانا وَ كُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ). (آل‌عمران: ١٠٣)

فالقرآن الكريم اذن يعتبر الوحدة من عوامل اقامة دين الله وان التفرقة منافية لهذا الهدف ويقول: (أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ... .» (الشوري: ١٣).

مفهوم الوحدة

ما معنى وحدة الأمة الإسلامية؟ هل معناه أن يتم اختيار دين او مذهب واحد من بين الأديان والمذاهب الموجودة وان يعمل الجميع وفق هذا الدين او المذهب؟ أم أن المقصود هو التركيز على القواسم المشتركة بين المذاهب الإسلامية وتجنب اثارة الاختلافات؟

والمقصود من الوحدة هو التجمع تحت راية الكعبة المشرفة وهي البيت الذي بني لأول مرة بين البشر لعبادة الإله الواحد كأمة واحدة وان يجتمعوا بعزم وارادة حول بعضهم البعض وان يعملوا بشكل يبشر بتكوين أمة إسلامية واحدة. ويذكر القرآن الكريم المسلمين في هذا الصدد. ويقول : (وَ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَ أَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ)(سورة المؤمنون:الاية ٥٢)..

من هنا فأن الوحدة الإسلامية، من وجهة نظر المفهوم، ومن حيث أسلوبها وأدواتها، تشمل جميع عمليات صنع القرار، وصنع السياسات، واعتماد الأساليب الموحدة، واستخدام الامكانيات المشتركة، والتدابير التي تؤدي نتائجها وتداعياتها إلى تحقيق وحدة الأمة الإسلامية.

دورالحج فى توحيد الأمة

يوفر اجتماع المسلمين في الحج الفرصة لتحقيق الفوائد المادية والروحية(ليشهدوا منافع لهم). فمن أهم فوائد الحج هو نقل الأفكار والتفاعل المثمر بين أتباع المذاهب الإسلامية. والحج رمز لتجسيد وحدة المسلمين وهو فريضة تعزز روح الأخوة والتضامن بين المسلمين. وقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبته في وادي منى في حجة الوداع هذه الأمور وقال: « أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ وَ لَا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ مَالُ أَخِيهِ إِلَّا عَنْ طِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ. ... أَيُّهَا النَّاسُ إِنَ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَ إِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ كُلُّكُمْ لِآدَمَ وَ آدَمُ مِنْ تُرَابٍ- إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ وَ لَيْسَ

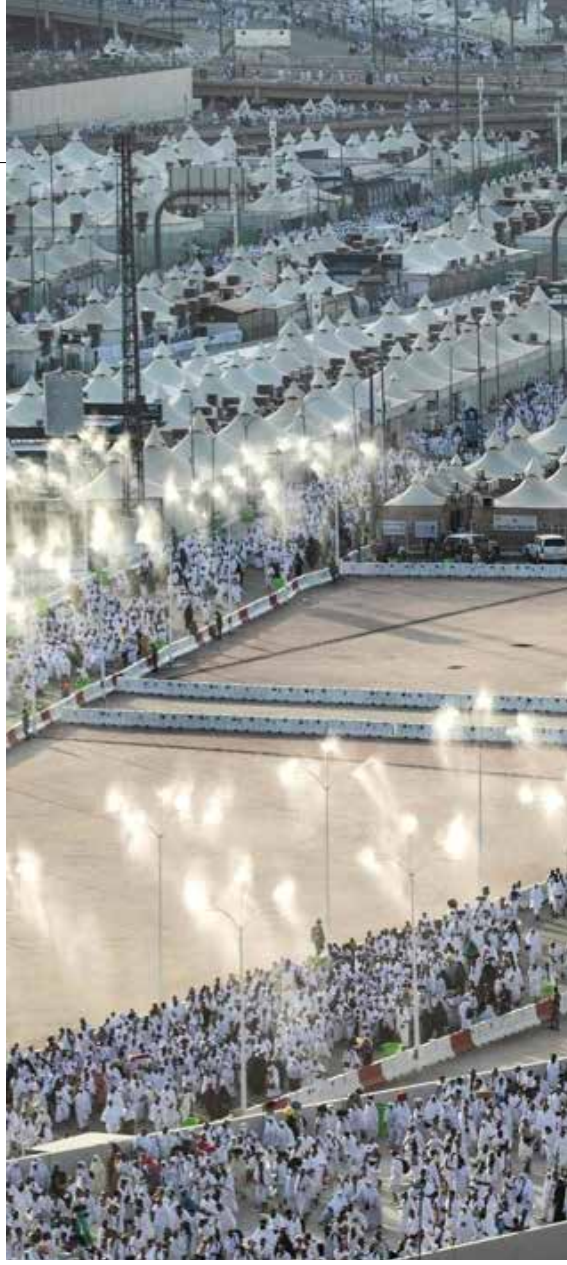

لِعَرَبِـيٍّ عَلَـى عَجَمِـيٍّ فَضْـلٌ إِلَّا بِالتَّقْـوَى» (نهـج الفصاحـة، ص٣٦٥؛ ابـن شـعبه حرانـى، تحـف العقـول، ص٣٤)

ويذكـر النبي(ص) المسـلمين بأنه لديهـم جانبان مـن جوانـب الوحـدة مـع بعضهمـا البعـض وهي وحـدة الأبـاء والوحـدة فـي الديـن والمعتقـد وهذيـن العامليـن مـن عوامـل الوحـدة والتلاحـم والتـي يجـب أن تؤخـذ فـي الاعتبـار فـي موسـم الحـج. ويقـول علـي(ع) فـي كلماتـه حـول الحـج وهـو يعبـر عـن فلسـفة بعـض أحـكام الشـريعة فـي الحـج: «وَ الْحَجَّ [تَقْوِيَةً] تَقْرِبَـةً لِلدِّينِ» (نهج البلاغـه، صبحى صالـح، ص٥١٢؛ ابن ابـى الحديد، شـرح نهج البلاغة، ج ١٩، ص٨٦)، يعنى ان فلسفة الحج(تقوية للدين) أو فلسفة الحج هي التقريب بيـن أتباع الدين. والمقصـود في كلا التعبيرين أن اجتمـاع الحـج يعـزز وحـدة المسـلمين ويقـوى إيمانهم، وبهذا الشـكل يصبح الإسـلام أقـوى. وإذا كان معنـى الـكلام أن فلسـفة الحج هـي التقريب بيـن اتبـاع المذاهـب، فهـذا يعنـي التقريـب بين قلوب المسـلمين والنتيجة تعزيز الإسلام وتقويته.

وعـن دور الحـج الموحـد للمسـلمين يقـول أمير المؤمنيـن (ع): «وَ فَـرَضَ عَلَيْكُـمْ حَجَّ بَيْتِـهِ الْحَرَامِ الَّـذي ... جَعَلَـهُ سُـبْحَانَهُ وَ تَعَالَـى لِلْإِسْـلَامِ عَلَمـاً» (ابن ابى الحديد، شـرح نهج البلاغه، ج١، ص١٢٣) ..يعنـي ان البيـت الحـرام هوعلم الاسـلام.

وفـي الماضـي البعيـد، كان من المعتـاد أن يكون لـكل مـن المجموعات التي تقاتـل بعضها البعض رايتهـا اوعلمهـا الخاص الذي كانـت تجتمع تحت لـواءه. فالعلـم كان رمـزًا لوحدتهـم ومجتمعهـم ومقاومتهـم وبقائهـم.و كان اهتـزاز العلـم دليـلا على حياتهم الجماعية، وكان سـقوطه علامة على الفشـل والتشـتت. وحتـى اليوم، يعتبـر العلم رمز الاسـتقلال والوحـدة والسـيادة المسـتقلة للأمـم والدول. وقد شـبّه أمير المؤمنين(ع) الكعبة وحج هـذا البيت بعلم في سـاحة فكرالتوحيـد والكفر، ومـادام يكـون هذا العلم مرفوعا بين المسـلمين، فإن وحدة المسـلمين وتماسكهم ستبقى مصونة، وكما ان الأعلام(الرايات) ترمز.الى وحدة الشـعوب واتحـاد سـكانها وعلامـة تضامنهـم، وان رفعها هو علامـة علـى حياتهـم، فـأن الكعبة هكذا بالنسـبة للإسـلام. (الشهيد مطهري، مجموعة كتبه، المجلد ٢٥، ص ٤٩).

وفـي حديث آخر قـال الإمام الصـادق (ع):«لايَزالُ الدّيـنُ قائماً ما قامَـتِ الْكَعْبَةُ» (الكلينى، الكافى، ج٤، ص ٢٧١) وهـذا يعنـي انـه مـادام الحج باقي فـأن الاسـلام بـاق، فالكعبـة اذن هـي علم الإسـلام المقدس ورمز وحدة واسـتقلال المسـلمين.

وهنـا يجـدر ان نذكـر مقتطفـات قصيـرة من كلام القائـد الكبير للثورة الخميني العظيم وكذلك قائد الحكيـم للثورة الإمام الخامنئـي عن دور الحج في تحقيق الوحدة بين المسـلمين:

وعن دور الحج في خلق الوحدة بين المسـلمين، يقـول الإمـام الخمينـي ١: "مـن واجبـات هـذا التجمـع الكبيـر دعـوة النـاس والمجتمعـات الإسـلامية إلى وحـدة الكلمة وحـل الخلافات بين فئات المسـلمين" (الإمام الخمينـي، صحيفة نور، المجلـد. ٩، ص ٢٢٥)

"يجـب علـى جميـع الإخـوة والأخوات المسـلمين ان يدركـوا بـأن أحـد أهداف فلسـفة الحج هو خلق التفاهـم وتعزيـز الأخـوة بيـن المسـلمين" (الإمـام الخمينـي، صحيفـة نـور، المجلـد ١٠، ص ٦١)

وفـي رسـالته إلـى مؤتمـر الحـج العالمـي، كتـب آيـة الله الإمـام الخامنئـي: "إن الأثر المرئـي الأول للحـج هـو بـث روح الوحـدة والتضامـن فـي كل واحـد منهـم وإبراؤ المجـد والعظمـة الاجتماعية للمسـلمين وملـء عقـول كل واحـد منهـم بمشـاعرالعظمة. وبهـذا الشـعور بالعظمـة يجـد المسلمون في كل بلد إسلامي الشجاعة لمواجهة المعسـكر المعادي للإسـلام "(الخامنئي، نداء الى الحجـاج، ٧٠/١١/٢٦) هجـرى -شمسـى.)

مـن الناحيـة السياسـية، يمكـن أن يكـون الحـج أساسـا لبنـاء دولـة عالمية واحـدة. لذلك سـيكون هـذا الحـج جسـرًا للارتبـاط والتواصـل بيـن المسـلمين، بالإضافة إلـى تلاقي الأجسـاد ووحدة القلـوب والحكومـات.

الهوامش والمصادر

١. القرآن الكريم.

٢ - ابـن أبـي الحديـد، عبـد الحميد بن هبـة الله، شـرح نهـج البلاغـة لابـن أبـي الحديـد، مراجعـة: إبراهيـم، محمـد أبـو الفضـل، مكتبـة آيـة اللـه المراشـي النجفـي، قـم ١٤٠٤ هــ .

٣. ابـن شـعبه الحرانـى، حسـن بـن علـي، تحـف العقـل، الطبعة الثانية، قم، جامعة المدرسـين في الحوزة العلميـة، ١٤٠٤ هـ

٤. الإمـام الخمينـي، روح اللـه، صحيفـة الإمـام، مركـز تنظيم ونشـر تراث الإمام الخمينـي، طهران، ١٩٩٩م .

٥. الخامنئي، سـيد علي، الموقع الرسـمي لمكتب حفـظ ونشـر كتـب ومؤلفـات آيـة اللـه العظمى السـيد علي الخامنئي.

٦. الشـريف الرضـي، محمـد بـن حسـين، نهـج البلاغة (نسـخة صبحي صالـح)، تأليف: محمد بن حسـين، قم، دار الهجرة، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ

٧. الكلينـي، محمد بن يعقوب، الكافي، (المطبعة الاسلامية- طهران، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٧ هـ

٨. المطهـري، مرتضـى، مجموعـة أعمـال الاسـتاذ الشـهيد مطهـري، صـدرا، قـم: ١٣٧٢ هــ ش

فلسفة الحج
بين العبودية والتسليم

■ داود الحسيني

لكل واحدة من العبادات اسرار ورموز، لا يصعب الاحاطة بها والوقوف على خفاياها. على سبيل المثال، في الصلاة ركوع وسجود يوحي للانسان معنى التعظيم. والتشهد في الصلاة بمثابة اعتراف بعظمة الله تعالى ورسالة نبي الاسلام الاكرم(ص). والصيام مقرون بالامساك والامتناع عن الرغبات والشهوات. ومثل هذا الفعل يتسق ويتناغم مع المعوزين، ويقوي لدى الانسان القدرة على التحكم بالنفس ازاء الشراهة والرغبة بالاستحواذ على المزيد، اضافة الى اقترانه بمنافع مادية نظير سلامة الابدان. والزكاة تبعث على تعديل الثروة والقضاء على الفقر في المجتمع. والجهاد دفاع للذود عن كيان الاسلام وصيانته. وهكذا احكام الاسلام الاخرى التي لا يصعب على الانسان التعرف على اسرارها المادية والمعنوية خلال حياته المادية.

غير ان الحج عبادة يصعب ـ الى حد كبير ـ التعرف على اسرارها ورموزها والوقوف على ابعادها. فلماذا ينبغي خلع الملابس وارتداء لباس الاحرام؟ ولماذا ينبغي الطواف سبعة مرات حول الكعبة؟ ولماذا ينبغي الهرولة بين الصفا والمروة؟ ولماذا ينبغي الجلوس في العراء في المشاعر المشرفة؟ ولماذا ينبغي حلق الرأس والامتناع عن التجمل؟ وغير ذلك عشرات التساؤلات الأخرى التي لا يمكن استيعابها من دون مبدأ العبودية والتسليم. ولهذا التعبد والعبودية في الحج اكثر من سائرالعبادات.

يروي المرحوم الفيض الكاشاني عن نبي الاسلام الاكرم، بأن رسول الله كان يقول اثناء التلبية: «لبيك حقا، تعبدا ورقا».

الحج يقوي روحية العبودية والتعبد لدى الانسان، حيث يردد الانسان النداء بتلبية الاحكام الالهية، وإن كان يجهل فلسفة واسرار ذلك. وعن فلسفة الحج يقول الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب:

ألا ترون أن الله سبحانه اختبر الأولين من لدن آدم الى الآخرين من هذا العالم، بأحجار لا تضر ولا تنفع، ولا تبصر ولا تسمع، فجعلها بيته الحرام ـ الذي جعله قياماً للناس ـ ثم وضعه بأوعر بقاع الارض حجراً، وأقل نتائق الدنيا مدراً، واضيق بطون الاودية قطراً، بين جبال خشنة، ورمال دمثة، وعيون وشلة، وقرى منقطعة، لا يزكو بها خف، ولا حافر ولا ظلف، ثم أمر آدم وولده ان يثنوا اعطافهم نحوه، فصار مثابة لمنتجع اسفارهم، وغاية لملقى رحالهم. تهوي اليه ثمار الافئدة من مفاوز قفار سحيقة ومهاوى فجاج عميقة، وجزائر بحار منقطعة، حتى يهزوا مناكبهم ذللاً يهللون لله حوله، ويرملون على اقدامهم شعثاً غبراً له، قد نبذوا السرابيل وراء ظهورهم، وشوهوا باعفاء الشعور محاسن خلقهم، ابتلاء عظيماً، وامتحاناً شديداً، واختباراً مبيناً، وتمحيصاً بليغاً، جعله الله سبباً لرحمته، ووصلة الى جنته، ولو اراد سبحانه ان يضع بيته الحرام، ومشاعره العظام، بين جنات وانهار، وسهل وقرار، جم الاشجار داني الثمار، ملتف البنى، متصل القرى، بين برة سمراء، وروضة خضراء، وارياف محدقة، وعراص مغدقة، ورياض ناضرة، وطرق عامرة، لكان قد صغر قدر الجزاء على حسب ضعف البلاء، ولو كان الاساس المحمول عليها، والاحجار المرفوعة بها، بين زمردة خضراء، وياقوتة حمراء، ونور وضياء، لخفف ذلك مصارعة الشك في الصدور، ولوضع مجاهدة إبليس عن القلوب، ولنفى معتلج الريب من الناس، لكن الله يختبر عباده بانواع الشدائد، ويتعبدهم بأنواع المجاهد، ويبتليهم بضروب المكاره، إخراجاً للتكبر من قلوبهم، وإسكاناً للتذلل في نفوسهم، وليجعل ذلك أبواباً فتحاً الى فضله، واسباباً ذللاً لعفوه " (نهج البلاغة، تصحيح الدكتور صبحي الصالح، الخطبة ١٩٢، المسماة بالقاصعة).

و من اولى الخطوات التي يستعد بها الانسان للحج تتمثل في الاحرام والتلبية، حيث يعلن عن عبوديته لله تعالى بالقول: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ إِنَّ الْحَمْدَ والنِّعْمَةَ لَكَ والْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ..» (الكليني، اصول الكافي، ج٤، ص ٣٣٥). ولا يخفى ان حقيقة العبودية هي الانصياع الى أمر الله تعالى، بغض النظر عن معرفتك بفلسفة الحج أو جهلك بها. أو النظر الى المنافع المادية أو المعنوية بالنسبة لك مصداقاً لقول الامام امير المؤمنين: «مَا عَبَدْتُكَ خَوْفاً مِنْ نَارِكَ، ولَا طَمَعاً فِي جَنَّتِكَ، ولَكِنْ وَجَدْتُكَ أَهْلًا لِلْعِبَادَةِ فَعَبَدْتُكَ» (الفيض الكاشاني، كتاب الوافي، ج٤، ص ٣٦١).

باختصار ان احدى فلسفات الحج تكمن في تجلي روحية العبودية لدى الحاج، وفي هذا يقول النبي الاكرم (صلوات الله وسلامه عليه): «وأُمِرَ بِالْحَجِّ والطَّوَافِ وأُشْعِرَتِ الْمَنَاسِكُ، لإِقَامَةِ ذِكْرِ اللَّهِ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ فِي قَلْبِكَ لِلْمَذْكُورِ ـ الَّذِي هُوَ الْمَقْصُودُ والْمُبْتَغَى ـ عَظَمَةُ ولَاهَيْبَتُهُ فَمَا قِيمَةُ ذِكْرِكَ. (النراقي، جامع السعادات، ج٣، ص ٣٢٢).

الثقافة والتبادل الثقافي في الحج

■ **تأليف: حافظ نجفي، عضو قسم الأخلاق بمركز أبحاث الحج والزيارات**

ان الثقافة تعني المعرفة والأدب، والتعليم والتربية، (قاموس دهخدا: المجلد ١٠، ص ١٥١٠٩) وفي هذا البحث، تعني الثقافة المعتقدات والقيم الأخلاقية وعادات الحياة ونماذج وأساليب العمل المأخوذة من القرآن وسنة نبي الإسلام (ص) والآئمة الأطهارعليهم السلام التي تشكل الهوية الثقافية للمسلمين، والتي من أهم سماتها القواسم المشتركة بين المذاهب الإسلامية والمسلمين والتي ينبغي الى جانب الالتزام بها - كتوجيهات دينية. -بذل الجهود والمساعي من أجل صيانتها ونشرها وتطورها أيضًا. ومن أجل نمو وتوسع الثقافة الإسلامية الأصيلة، يتمتع المسلمون بالعديد من الإمكانيات والقدرات والفرص، ويعتبر وقت ومكان الحج من الفرص القيمة للحفاظ على ثقافتهم وهويتهم الدينية وتعزيزها.

ومناسك الحج بالإضافة إلى اجوائها المعنوية والتربوية والأخلاقية، تشتمل على أبعاد سياسية

واجتماعية وثقافية قيّمة، والتي، إذا ما تم تنفيذها بشكل صحيح، يمكن أن تضع المسلمين في مكانة دولية عالية وترتقي بالثقافة الإسلامية الى مكانها المرموق. وذلك لأن الحج من أهم الشعائر الدينية التي لها طابع عابر للحدود. حيث نلاحظ انه بالرغم من الاختلاف في كثير من الأحكام والقضايا الدينية بين المذاهب الإسلامية، إلا أننا لانشاهد في الحج أي اختلاف بين المسلمين، فقضايا مثل الإحرام، والطواف، والصلاة، والوقوف في عرفات، والمشعر و منى، ورمي الجمرات و.... إلخ، يقبلها جميع العالم الاسلامي. وهذه الأوامر الإلهية هي التراث الثقافي العظيم والمشترك للمسلمين وأهم المناسك الدينية في الدين الإسلامي الحنيف، التي تجمع سنويًا ملايين المسلمين من مختلف ارجاء العالم في مكان واحد.

موسم الحج فرصة ذهبية لنشر الثقافة الإسلامية وتبادلها

في السيرة العملية لنبي الإسلام (ص)، الذي كلفه الله مهمة تبليغ ونشر التعاليم النورانية للإسلام (سورة المائدة، الآيات ٦٧، ٩٢، ٩٩) وكذلك في السيرة العملية للأئمة الآطهار(ع)، نلاحظ ان هذه الشخصيات العظيمة كانت تستغل أيام الحج لتبليغ ونشر تعاليم الإسلام وتوعية الناس. وكان نبي الإسلام خلال ثلاثة عشر عامًا من إقامته في مكة، على اتصال بممثلي ورؤساء القبائل الذين كانوا يأتون من المدن والمناطق المختلفة إلى مكة للحج، وقد ذكر المؤرخون في هذا المجال نماذج عديدة على ذلك. (سيرة ابن هشام ج ١ ص ٤٢٢). وفي حجة الوداع خاطب النبي (ص) الناس قائلا: و(يُبَلِّغُ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ...) يعنى ان على الحاضرين فى الحج ان ينقلوا ماقاله النبي الى الآخرين الذين لم يكونوا حاضرين في حجة الوداع (سليم بن قيس الهلالي، كتاب سليم: المجلد ٢، ص ٥٧٩ و ٦٥٥).

وكتب الامام على (ع) الى قُثَم بن عباس الذى كان عامله في مدينة مكه : فَأَقِمْ لِلنَّاسِ الْحَجَّ- وَ ذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ وَ اجْلِسْ لَهُمُ الْعَصْرَيْنِ فَأَفْتِ الْمُسْتَفْتِيَ وَ عَلِّمِ الْجَاهِلَ وَ ذَاكِرِ الْعَالِمَ وَ لَا يَكُنْ لَكَ إِلَى النَّاسِ سَفِيرٌ إِلَّا لِسَانُكَ وَ لَا حَاجِبٌ إِلَّا وَجْهُكَ... (الشريف الرضى، نهج البلاغة، الرسالة ٦٧).

وقبل وفاة معاوية بسنة واحدة، جمع الإمام الحسين (ع) سبعمائة من أصحاب النبي(ص) في منى من اجل توعية المسلمين أثناء الحج، حيث تحدث عن جرائم معاوية وولايت العهد ليزيد وآثارها الضارة على المجتمع الإسلامي. كما ذكر فضائل أمير المؤمنين علي (ع) من خلال الإشارة إلى حديث المؤاخاة وحديث سد الأبواب وواقعة والمباهلة وتذكيرهم بسورة البراءة فأثر ذلك في أصحاب الرسول (سالم بن قيس الهلالي، كتاب سليم: المجلد ٢، ص ٧٩٣-٧٨٨)

من وجهة نظر أمير المؤمنين علي (ع)، إن الذين ينجحون في رحلة الحج هم المختارون الذين ساروا في هذه الرحلة الروحية، على خطى الأنبياء، وهم الملزمون بمواصلة طريق الأنبياء. قال: وَ فَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلْأَنَامِ يَرِدُونَهُ وُرُودَ الْأَنْعَامِ وَ [يَوْلَهُونَ] يَأْلَهُونَ إِلَيْهِ [وَلَهَ] وُلُوهَ الْحَمَامِ وَ جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ عَلَامَةً لِتَوَاضُعِهِمْ لِعَظَمَتِهِ وَ إِذْعَانِهِمْ لِعِزَّتِهِ وَ اخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ سُمَّاعاً أَجَابُوا إِلَيْهِ دَعْوَتَهُ وَ صَدَّقُوا كَلِمَتَهُ وَ وَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِهِ وَ تَشَبَّهُوا بِمَلَائِكَتِهِ الْمُطِيفِينَ بِعَرْشِهِ يُحْرِزُونَ الْأَرْبَاحَ فِي مَتْجَرِ عِبَادَتِهِ وَ يَتَبَادَرُونَ عِنْدَهُ مَوْعِدَ مَغْفِرَتِهِ جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى لِلْإِسْلَامِ عَلَماً وَ لِلْعَائِذِينَ حَرَماً [وَ] فَرَضَ حَقَّهُ وَ أَوْجَبَ حَجَّهُ وَ كَتَبَ [عَلَيْهِ] عَلَيْكُمْ وِفَادَتَهُ فَقَالَ سُبْحَانَهُ "وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ). الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة الأولى).

وتأسيسا على ما تم ذكره، فإن أيام الحج هي أفضل وقت للتفاعل الفكري والتبادل الثقافي والتحاور الصادق بين المسلمين من اجل تحقيق القيم الدينية السامية والوصول إلى ثقافة إسلامية ديناميكية. والواقع ان الحج يمكن أن يصبح مؤتمرًا ثقافيًا ضخمًا يجتمع فيه مفكرو العالم الإسلامي خلال أيام وجودهم في مكة ويقدمون أفكارهم ومبادراتهم لبعضهم البعض.

إن التواجد في أرض مكة والمدينة، بالنسبة لكل مسلم، هو تذكير بأفضل وأقوى الذكريات الخالدة لآدم صفي الله وإبراهيم خليل الله وإسماعيل ذبيح الله وتفاصيل الحضور المتواصل للنبي الأكرم وأصحابه وانصاره المؤمنين المخلصين في مكة والمدينة. إن مناسك الحج والكعبة المشرفة هي علامة على التوحيد وعلى المعتقدات الإسلامية الأصلية التي لايضل من اتبعها. ولهذا نلاحظ ان الحج في كلام أمير المؤمنين علي (ع) تم التعبير عنه بانه علما للاسلام: (جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى لِلْإِسْلَامِ عَلَماً وَ لِلْعَائِذِينَ حَرَماً...(الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة الاولى)

وللحج وتجمعه الكبير في الآيات والروايات أهداف محددة تعتبربدورها وسيلة لتأمين مصالح المسلمين.. (و لِيَشْهَدُوا مَنافِعَ لَهُم... الحج ٢٨). فنقل الأفكار والتفاعل والتواصل المثمر بين أتباع المذاهب الإسلامية يعتبر من أهم فوائد الحج. كما ان العلم والمعرفة مثل عقيدة التوحيد، والعبادة الخالصة لله تعالى، والتقرب الى الساحة الالهية المقدسة، وتطهيرالنفس والروح من الذنوب الدنيوية، وبلوغ الكمال المنشود والأمال السامية، وتحقيق القيم الإنسانية الناتجة عن التفاعل والتعامل الأخوي مع شعوب العالم الاخرى، ومعرفة الثقافة الديناميكية للإسلام، والتفكير في السعادة والتقدم العلمي والثقافي والاجتماعي للمسلمين. .. هي من الامور الواجبة التي ينبغي على كل فرد مسلم أن ينقلها إلى الأمم الأخرى والأجيال القادمة.

والمسلمون الذين يأتون من جميع أنحاء العالم ويجتمعون في هذا المكان، يمكنهم من خلال تعزيز روح التوحيد وتوسيع العلاقات والتفاعلات الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها، الحيلولة دون انزواء وانعزال الإسلام والمسلمين وان يبينوا للعالم مدى قدرة وقوة المسلمين وماهي قدرة هويتهم الثقافية، وان يحققوا السلام والأمن في ظل النظام التوحيدي للحج. والحج في الواقع، هو جامعة ثقافية عالية وساميةيتم فيها تدريس الإنسان ثقافة البناء الذاتي والأمن والعدالة الاجتماعية والتفاني والنظام والانضباط حتى يتمكن من نشر هذه التعاليم في العالم بأسره. من هنا وحسب ماجاء على لسان الأئمة. فإن التواصل بين الناس وتبادل الثقافات والحوار والتفاهم يعتبر أحد أهداف

وفوائـد الحـج. يقول امام صادق عليه السـلام حول فلسـفة الحج: «فَجَعَلَ فيـه الاجْتِمَاعَ مِنَ الْمَشْـرِقِ وَ الْمَغْرِبِ لِيَتَعَارَفُوا...وَ لِتُعْرَفَ آثَارُ رَسُولِ اللَّهِ(ص) وَ تُعْـرَفَ أَخْبَـارُهُ وَ يُذْكَـرَ وَ لَا يُنْسَـى... (الشـيخ صـدوق، علـل الشـرائع، ج٢ ص: ٤٠٦).

ويشـارك في هذا التجمع السـنوي، أناس جديرين مـن كل بلـد ومـن حـدب وصـوب كممثليـن لمجتمعهـم، ويمكـن اعتبـار أحـد إنجـازات هـذا الحضـور هـو التعـرف علـى الأفـكار والأتجاهـات الفكريـة ونقـل المعلومـات لبعضهـم البعـض. وفي شـرحه لفلسـفة الحج، أشـار الإمام الرضا (ع) إلـى بعـض منجزاتـه ومكاسـبه الدينيـة والأخلاقية والاجتماعيـة والاقتصاديـة، التـي يـؤدي الالتـزام بهـا إلـى اسـتفادة الحجـاج مـن المنافـع الأخلاقية والدينيـة، ويـؤدي دورًا مهمًـا فـي توسـيع التفاعل بيـن المسـلمين. وفـي حـل مشـاكلهم. و قـال:

و علّـة الحـجّ الوفـادة إلـى اللّـه تعالـى و طلـب الزّيـادة و الخـروج من كلّ مـا اقترف و ليكون تائباً ممّـا مضـى مسـتأنفاً لمـا يسـتقبل و مـا فيـه مـن اسـتخراج الأمـوال و تعـب الأبـدان و حظرهـا عـن الشـهوات و اللّذات و التقرّب بالعبادة إلى اللّه عزّ و جلّ و الخضوع و الاسـتكانة و الذلّ شـاخصاً في الحـرّ و البـرد و الامن و الخـوف دائباً في ذلك دائم و مـا فـي ذلك لجميع الخلق مـن المنافع و الرّغبة و الرهبـة إلـى اللّه تعالى و منه ترك قسـاوة القلب و جسـارة الأنفس و نسـيان الذّكر و انقطاع الرجاء و الأمـل و تجديـد الحقـوق و حظـر الأنفـس عـن الفسـاد و منفعـة مـن فـي شـرق الأرض و غربها و مـن فـي البـرّ و البحـر ممن يحـجّ و ممّـن لا يحجّ مـن تاجـر و جالـب و بايـع و مشـتر و كاسـب و مسـكين و قضـاء حوائج أهل الأطـراف و المواضع الممكـن لهم الاجتماع فيها كذلك لِيَشْـهَدُوا مَنَافِعَ لَهُـمْ. . ..(شـيخ صـدوق، عيـون أخبـار الرضـا عليـه السـلام، ج٢، ص: ٩٠) و علّـة الحـجّ هـو اللجـوء إلـى اللـه وطلب الأجـر العظيم، والخـروج من كل الذنـوب التي أارتكبها الإنسـان.

وعلـى المسـلمين أن يعلمـوا أن أعـداء الإسـلام كانـوا دائمًـا يحاولـون وبـكل جديـة منـع انتشـار ثقافـة الإسـلام الأصيلة.فهـم ومن خلال اسـتخدام وسـائل الأعـلام المتطـورة، يحاولون نشـر الثقافة الغربيـة المبتذلة وإضعاف العناصر القيمة للهوية الثقافيـة الإسـلامية، المتجـذرة فـي الإسـلام والقيم الدينيـة. والسـبيل الوحيـد لمواجهـة مخططـات الأعـداء هو اتحاد المسـلمين وتضامنهم في الحج ونقـل الثقافـات، الأمـر الـذي سـيجعلهم ينشـرون التعاليم الإسلامية ويبينون الوجه الحقيقي للإسلام عنـد عودتهـم إلـى اوطانهم ويسـعون الـى تبديل المسـلمين الـى قـوة عظمى.

وقـال الإمـام الخمينـي رحمـه اللـه : مـن الواجـب عليكـم يـا أمـة الاسـلام العزيـزة الذيـن اجتمعتـم فـي أرض الوحـي لأداء شـعائر الحـج، أن تنتهـزوا الفرصة وتفكروا في سـبيل الخلاص.وتتبادلـوا الآراء وتتفاهمـوا لحـل قضايا المسـلمين الشـائكة.

وعليكـم أن تأخـذوا بنظر الاعتبـار أن هذا التجمع الكبيـر، الـذي يحـدث بأمر-اللـه تعالـى-كل عـام فـي هـذه الأرض المقدسـة، يوجـب عليكـم أيتهـا الشـعوب الاسـلامية أن تبذلـوا جهودكم في طريق اهـداف الاسـلام المقدسـة، والأهـداف السـامية للشـريعة المطهـرة، وفـي طريـق تقـدم وسـمو المسـلمين، وتضامن المجتمع الاسـلامي وتلاحمه.

عليكـم أن تتحدوا في الفكـر وتتحالفوا في طريق الاسـتقلال، واسـتئصال سـرطان الاسـتعمار.وان تسـتمعوا الـى مشـاكل الشـعوب المسـلمة مـن لسـان اهالـي كل بلـد، ولا تألـوا جهـداً فـي طريق حـل مشـاكلهم.وأن تجـدوا حـلًا لفقـراء البـلاد الاسـلامية ومسـاكينها.وتفكروا فـي طريـق لتحرير ارض فلسـطين المسـلمة مـن مخالـب الصهيونية العـدو اللـدود للاسـلام والانسـانية.ولا تغفلـوا عـن مسـاعدة الرجـال المضحيـن الذيـن يناضلـون في سـبيل تحريـر فلسـطين، والتعـاون معهـم.

(الإمـام الخمينـي، صحيفـة الإمـام، المجلـد ٢، ص ٣٢٢)

ويوصـي سـماحة القائـد (حفظه الله)المسـلمين

بهذا الصدد: "في الحج أيها الإخوة والأخوات الذين تجمعوا من مختلف بقاع العالم في مؤتمر الحج الكبير وهاجرتم من (انا) العرقية –القومية المحترفة والتحقتم الى (نحن) الإسلامية والقرآنية، فمن المناسب أن تأخذوا بالإعتبار بعض الأمور وتتبادلوا الأفكار بشأنها مع المسلمين الآخرين وان تنفذوها بعد رحلة الحج. (نداء قائد الثورة المعظم الى الحجاج (في ١٦/٦/١٩٩١م).

كما قال سماحته ايضا(بهذا المعنى): "إن رؤية الحشود الضخمة من الحجاج الموفدة من مختلف أرجاء العالم تحبط المؤامرات الاعلامية للعدو.والحج الحقيقي والكامل يستطيع من خلال تقريب القلوب وتبادل الوعي والمعلومات ان يفضح المؤامرات.ويفشل أخطر مكائد العدو على الإسلام والمسلمين.(صحيفة الحاج ج ٢ ص ٢٢٢ و ١٦٥).

في العصر الراهن، بسبب ظهور قضايا مثل العولمة والثقافة العالمية الواحدة، تم جلب الثقافة من الهوامش إلى صميم القضايا الاجتماعية وتم طرح موضوع أهمية التواصل الثقافي أكثر من أي وقت مضى.والثقافة الوحيدة التي ستجد الفرصة للنمو والتطور هي الثقافة الثرية الأصيلة المدعومة برأسمال علمي، ولحسن الحظ، يفخر الدين الإسلامي المقدس بهذا الرأسمال الثمين، ولكن يجب استغلال هذا الرأسمال بشكل جيد، و إحد هذه السبل الجيدة هو التبادل الثقافي والاجتماعي والسياسي. واعتبر الإمام الصادق عليه السلام أن عدم الاستفادة من أمكانيات الحج وتجاهل آثاره المادية والروحية هو سبب عزلة المسلمين وخسارتهم المادية والمعنوية. وقال سلام الله عليه في معرض اشارته الى ضرورة الاجتماع والتواصل بين المسلمين:(فَجَعَلَ فيه الاجْتِمَاعَ مِنَ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ لِيَتَعَارَفُوا وَ لِيَتَرَبَّحَ كُلُّ قَوْمٍ مِنَ التِّجَارَاتِ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ وَ لِيَنْتَفِعَ بِذَلِكَ الْمُكَارِي وَ الْجَمَّالُ وَ لِتُعْرَفَ آثَارُ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ تُعْرَفَ أَخْبَارُهُ وَ يُذْكَرَ وَ لَا يُنْسَى وَ لَوْ كَانَ كُلُّ قَوْمٍ إِنَّمَا يَتَّكِلُونَ عَلَى بِلَادِهِمْ وَ مَا فِيهَا هَلَكُوا وَ خَرِبَتِ الْبِلَادُ وَ سَقَطَ الْجَلَبُ وَ الْأَرْبَاحُ وَ عَمِيَتِ الْأَخْبَارُ وَ لَمْ يَقِفُوا عَلَى ذَلِكَ فَذَلِكَ عِلَّةُ الْحَجِّ. الشيخ الصدوق، علل الشرائع، ج٢، ص: ٤٠٦)

المصادر:

- الإمام الخميني، السيد روح الله، صحيفة الإمام (صحيفة النور)، مؤسسه تنظيم و نشر تراث الإمام الخميني (رضوان الله عليه)، شتاء عام ١٣٧٩ هجري-شمسي.
- الإمام الخميني، السيد روح الله، صحيفة الحج، مركز أبحاث الحج، دار مشعر للنشر. شتاء ١٣٨٢ ه-ش
- الشيخ الصدوق محمد بن علي (١٤٠٨ هـ).علل الشرائع، الطبعة الأولى بيروت: دار إحياء التراث.
- قاموس دهخدا (١٣٣٤ ه-ش) بإشراف محمد معين وسيد جعفر شهيدي، طهران، مؤسسة (لغت نامه)وجامعة طهران، ١٣٧٣ ه-ش.
- الهلالي، سليم بن قيس، كتاب سالم بن قيس الهلالي ٧٦ هـ المؤلف / المحرر: أنصاري زنجاني خويني، محمد، الناشر: الهادي، إيران. قم ١٤٠٥ هـ
- الشريف الرضي، محمد بن حسين (١٣٦٩ ه-ش)، نهج البلاغة، بحث: السيد كاظم المحمدي، محمد الدشتي، دار نشر الإمام علي(ع) ٠ قم، الطبعة الثانية.
- الشيخ صدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (الشيخ الصدوق ت ٣٨١ هـ)، عيون أخبار الرضا عليه السلام، بحث: مهدي الحسيني. اللاجوردي، طهران، دار نشر جهان. ١٣٧٨ ه-ش

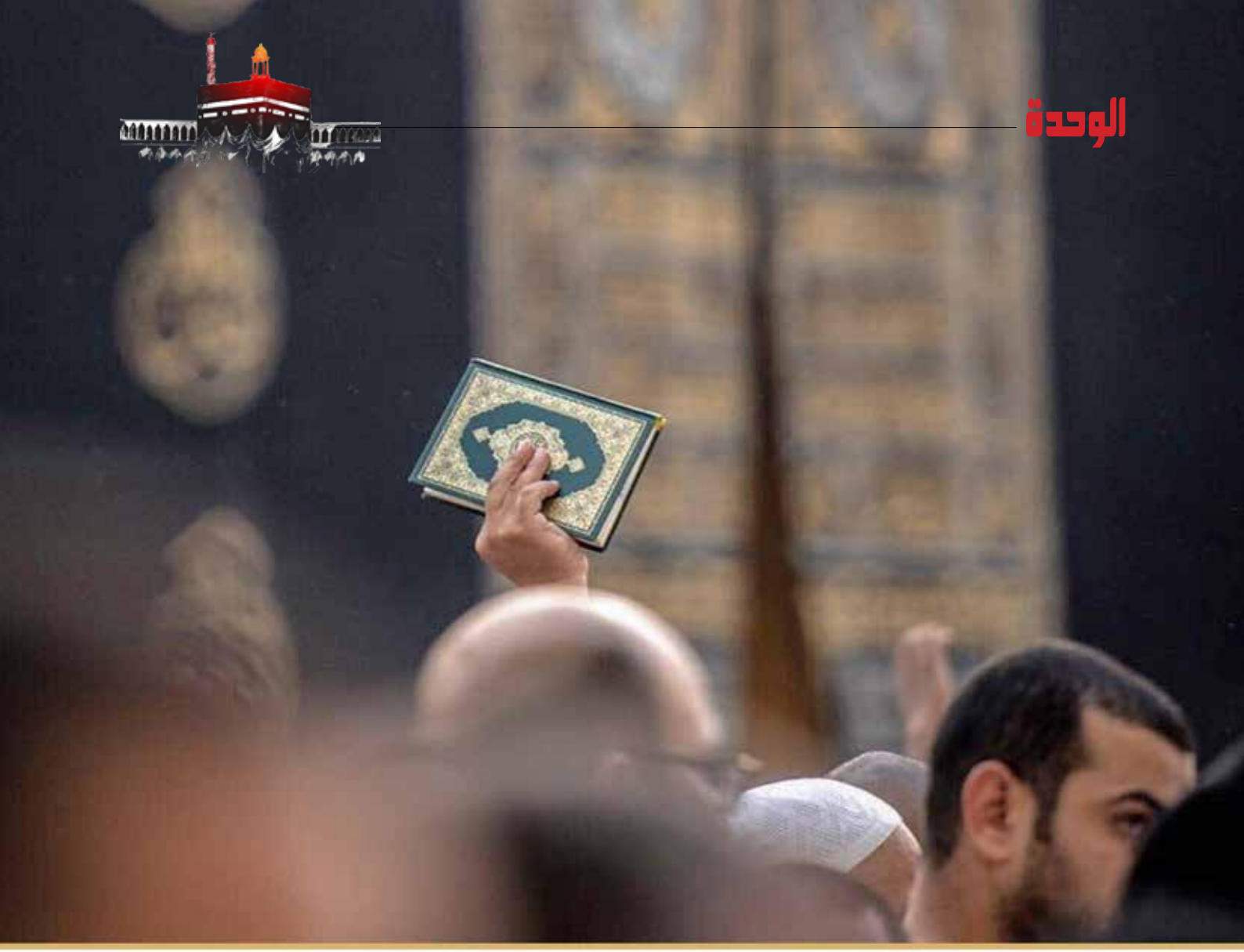

معالم الحج و آفاقه في القرآن و مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)

■ السيد منذر الحكيم

تحظى فريضة الحج باهتمام المسلمين جميعا وتعدّ من الشعائر والعبادات التي يتفق على وجوب أدائها جميع المذاهب الإسلامية، كما تعبّر هذه الفريضة عن وحدة الأمة الإسلامية واستقلال كيانها. وهي بعد ذلك كلّه: رمز قوّتها وعظمة قدرتها واستمرار حيويتها .

ولم تستطع أيدي العابثين أن تعطّل هذه العبادة العظيمة بالرغم من سعيهم الحثيث لإفراغها من مضمونها ومحتواها الكبير .

ويعود ذلك كلّه لأسباب منها: الدور الفاعل لأهل‌بيت الوحي عليهم‌السلام بما فيهم سيد المرسلين، وأئمّة المسلمين من أبناء الرسول العظيم،الذين تابعوا الرسول الكريم (ص) وآله في خُطاه الحكيمة والقرآن العظيم في توجيهاته السديدة، فسلكوا سبيل الهدي بكلّ ما أُوتوا من حَولٍ وقوّة وحكمة حتي بينوا معالم وتفاصيل هذه العبادة المهمّة بشعائره المتنوّعة، وأرسَوا دعائمها تشريعا وتشويقا، وحَثّوا على أدائها كلّ من يرتبط بهم من قريب أو بعيد، وجسّدوا كلّ ما قالوا في سلوكهم الحي، ولم يكتفوا ببيان

تاريخها العريق من لدن آدم عليه‌السلام إلى خاتم الأنبياء (ص) وفضائلها وآثارها الدنيوية المادية وأجرها الأخروي، وإنّما عكفوا على بيان فلسفتها شعيرة شعيرة، وعملاً عملاً، ونَفَذوا إلي أعماقها؛ ليصوّروا عرفانها بالعمل قبل البيان، وبالجنان قبل اللسان .

لقد تميزت مدرسة أهل البيت في نظرتها إلي الحجّ وشعائره بمميزات أعطت الحجّ مضمونا خاصّا، وشكلاً متميزا يشار من خلاله إلي أتباعها بالبنان، وهو يثير لدي المسلمين عامة أسئلة شتّى عن مدى البُعد المعنوي والسياسي المتميز لحجّهم عمّن سواهم، اقتداءً بأئمّة أهل البيت المعصومين صلوات اللّه وسلامه عليهم أجمعين .

ويمكن تلخيص هذه المميزات في عدّة نقاط :

الأولى: شدّة الاهتمام المتمثّل بالقول والعمل معا .

الثانية: الاهتمام المتميز بالشكل والمضمون معا .

الثالثة: عدم إغفال البُعدين السياسي والجهادي إلي جانب البُعد العبادي .

الرابعة: تعميق البُعد العبادي والعرفاني بشكل ملفت للنظر .

الخامسة: عدم تجاوز نصوص ومقاصد الكتاب والسُنّة بالرغم من كثرة التقريع والتفصيل .

إنّ أهل بيت الرسول الأمين (ص) وعترته المعصومين ـ الذين قرنهم الرسول(ص) بمحكم التنزيل واعتبرهم عِدلاً للقرآن العظيم في حديث الثقلين الشهير وحديث السفينة وحديث النجوم وغيرها ممّا ورد في تفسير آيات الذكر الحكيم التي تشير إلي أنهم أهل الذكر وولاة الأمر والحافظون لحدود اللّه ـ هم الروّاد الصادقون الأُمناء على شريعة جدّهم ورسالته حيث عصمهم اللّه من الزلل وآمنهم من الفتن، والمطهّرون الذين يتسنّي لهم تفسير الكتاب كما ينبغي، واقتفاء أثره اقتفاءً يجعلهم الأُسوة الحسنة بعد رسول اللّه (ص) والقدوة المثلي التي لا يطمع في إدراكها طامع .

ومن هنا كان من الطبيعي جدّا أن يكون منهجهم في إرساء دعائم هذه الفريضة العظيمة وتعظيم شعائر اللّه هو منهج القرآن المجيد، وخُطاهم إلي تثبيت قواعدها تبعٌ لخُطاه .

والقرآن المجيد قد كثّف الإضاءَة علي بيت اللّه الحرام ومشاعر الحج العظام، تاريخا وتعظيما وفلسفةً وأحكاما وعِرفانا، فجعله مركزا للتوحيد، وعتيقا من براثن الشرك، وقياما للناس، ومباركا وهدًي للعالمين، وأمنا للناس، ومثابةً لهم، ومطهّرا ومحلاً خاصّا للطائفين حول محور الوحدانية الحقيقية والعاكفين والركّع السجود. .

فهو التعبير الصادق عن إسلام الوجه للّه والتسليم لإرادته العليا، والمختبر الكامل للإنسان الطائع باتجاه الكمال اللائق به، والبوتقة التي تصهر شوائب الروح، وتمحو ما علق بها من أدران خلال مختلف مراحل الحياة .

لقد كانت لسيرتهم الزاخرة بالعطاء العلمي والعَمَلي والعرفاني وكان لسعيهم الحثيث ـ لإرساء معالم الشريعة وقواعدها المحكمة ـ الدور الكبير والأثر البالغ في تألّق الإسلام والمسلمين بشكل عام وتجلية عظمة الشريعة الإسلامية بشكل خاص، وتركيز شعائر الحج بشكل أخصّ حتى ورد عنهم عليهم‌السلام «أن الدين لا يزال قائما ما قامت الكعبة»، وأنّ ولاة الأمر مسؤولون عن رعاية هذه الشعائر في كلّ الظروف التي تمرّ بها الأمة الإسلامية، وينبغي أن لا يحول بينهم وبين إقامتها أي ضعف مالي، أو أي خلل اقتصادي ينتاب الناس حيث تخصص بعض ميزانية الدولة الإسلامية؛ لإحياء هذه الشعائر على مرّ الدهور والأحوال .

نعم هذه هي مدرسة أهل البيت عليهم‌السلام وهي تعطي صورة موجزة وملخّصة جدّا من معالم نظريتهم وثقافتهم الرّبانية إلى الاسلام ككل، وإلى هذا الركن الإسلامي العظيم بشكل خاص .

الشعائر الإلهية:

جاء في مختار الصحاح أنّ (الشعائر): هي كلّ ما جُعل علما لطاعة اللّه تعالي. وهي أعمال الحج أيضا، والمشاعر هي موضع المناسك .

وشِعار القوم في الحرب علامتهُم ليعرف بعضهم بعضا، وأسعر الهدي إذا طَعَنَ سنامَه الأيمَن حتّى يسيلَ منه دم ليعلَم أنّه هدي .

ومن هنا فقد عُرّف الشِعار بأنه «ممارسة ـ كلامية أو غير كلامية ـ تَصبغ شخصية الإنسان الممارِس، وتطبعها بطابعٍ خاص يميزها عمّا سواها»(١).

فالشعائر الإلهية هي معالم الطاعة للّه تعالي، والتي تتضمّن ممارستها أهدافا حقيقية هي أهداف الشريعة التي تقودها وتدعو إلي ممارستها، كما أنّها تعطي للممارسين لها عنوانا يميزهم عَمّن سواهم .

وتتجلّي هذه النقاط بوضوح في جملةٍ من آيات الذكر الحكيم، مثل قوله تعالي:

١ ـ ولكل أمّةٍ جعلنا منسكا ليذكروا اسمَ اللّه علي ما رزقهم من بهيمة الأنعام.(٢)

٢ ـ والبُدنَ جعلناها لكم من شعائر اللّه لكم فيها خير.(٣)

٣ ـ ذلك ومن يعظّم حرمات اللّه فهو خيرٌ له عند ربّه.(٤)

٤ ـ ذلك ومن يعظّم شعائر اللّه فإنّها من تقوي القلوب. (٥)

فالتقوي هو الهدف الذي تسعي الشريعة الإسلامية لتحقيقه من خلال العمل بقوانينها، والشعائر الإلهية التي نصّت عليها آيات الذكر الحكيم هي شعائر الحج وهي من جملة أركان العبادة الإسلامية، التي ينبغي للمسلمين احترامها وتعظيمها باعتبارها من «حُرُمات اللّه»، فهي من جملة القوانين التي تحمل طابع العبادة أوّلاً وتعطي للمسلمين معلَما من معالم شخصيتهم المستقلّة ثانيا فهي تحمل بين جوانحها روحَ التسليم للّه، والشعور بالعزّة باللّه، والشعور بالاستقلال عن سائر الأُمم بشتي شرائعها ومذاهبها .

شعائر الحج في القرآن الكريم:

تتّضح أهمية الحج وشعائره الإلهية في القرآن الكريم من خلال:

١ ـ المساحة التي استوعبتها آيات الحج في القرآن الكريم .
٢ ـ اسلوب الطرح واسلوب الدعوة إلي إقامتها .
٣ ـ الاهتمام البالغ بفلسفة إقامة هذه الشعائر .
٤ ـ تقنين هذه الشعائر وبيان أحكامها بالتفصيل .
٥ ـ الاهتمام ببيان جذورها التاريخية العريقة .

وإذا لاحظنا منهج أهل البيت عليهم‌السلام فيما يخص إحياء شعائر الحجّ وقارنّاه بالمنهج القرآني وجدناه يحذو حذوه ويتمثّل خُطاه حذو القذّة بالقذّة .

أما المساحة الملفتة للنظر فهي تتوزّع علي السور المكية والمدنية معا، ولا سيما إذا لاحظنا كلّ ما يرتبط بالحجّ وتأريخه وشؤونه . فمن السور المكية: سورة إبراهيم [الآيات ٣٥ ـ ٣٧]، والنمل [الآية ٩١] والقصص [الآية ٦٧]، والعنكبوت [الآيات ٢٤ إلى ٢٨] ومطلع سورة البلد ومطلع سورة التين وسورة قريش وسورة الفيل .

ومن السور المدنية: سورة البقرة [الآيات ١٢٥ ـ إلى ١٢٩ و١٤٢ إلى ١٥٢ و١٥٨ و١٨٩ و١٩٦ إلى ٢٠٣]. وسورة آل عمران [الآيات ٩٥ إلى ٩٧] وسورة المائدة [الآيات ٢ و٩٥ إلى ٩٧]، وسورة الأنفال [الآيات ٣٤ إلى ٤٠] وسورة التوبة [الآيات ١ إلي ١٩ و٢٨] وسورة الحجّ [الآيات ٢٥ إلي ٣٧]

وأمّا أُسلوب العرض فهو أُسلوب الحثّ والتحضيض والتأكيد والتعميم، فالخطاب فيه للناس كافة وليس للمؤمنين خاصة، قال تعالى:

١ ـ إنّ أوّل بيتٍ وُضع للناس لّلذي ببكة مباركا وهدًي للعالَمين. (٦)
٢ ـ وللّه علي الناس حجّ البيت من استطاع إليه سبيلاً. (٧)
٣ ـ وإذ جعلنا البيتَ مثابةً للناس وأمنا (٨)
٤ ـ جعل اللّهُ الكعبة البيت الحرام قِياما للناس. (٩)
٥ ـ وأذن في الناس بالحج. (١)

وهناك أدوات أخرى للعموم استخدمها النص القرآني مثل قوله تعالى:

١ ـ ومَن يعظّم حرمات اللّه فهو خير له عند ربّه .
٢ ـ ومن يعظِّم شعائر اللّه فإنها من تقوى القلوب .

ويتجلّى التأكيد في التكرار المتنوّع، واستعمال شتي أساليب التأكيد البلاغي في الآيات المباركة .

ويأتي بيان حرمة البيت وأمنه وحلول البركة فيه، واعتباره محطّة اشعاع وهداية للعالمين بما فيه من عدّة عوامل إيجابية للحثّ والتحضيض والتشويق لقصده وحجّه وإحياء شعائره .

هذا فضلاً عن النص الدالّ علي الوجوب، والنصوص المتضمّنة لبيان فلسفة الحج، وفلسفة إقامة هذه الشعائر حيث إنّها تعدّ من أساليب الحثّ والتشويق أيضا .

وتتكرّر في آيات الحجّ الإشارة والتصريح إلى فلسفة الحج في الإسلام، والحِكم التي تحققها ممارسة شعائره ومناسكه. قال تعالى:

١ ـ ولكل أمةٍ جعلنا منسكا ليذكروا اسم اللّه على ما رزقهم من بهيمة الأنعام.(١)
٢ ـ والبدنَ جعَلناها لكم من شعائر اللّه لكم فيها خير.(١٢)
٣ ـ لن ينالَ اللهَ لحومُها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم.(١٣)
٤ ـ كذلك سخّرها لكم لتكبّروا اللّه على ما هداكم.(١٤)
٥ ـ وأذِّن في الناس بالحجِّ. .. ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسمَ اللّه.(١٥)
٦ ـ ذلك ومن يعظّم حُرماتِ اللّه فهو خيرٌ له عند ربّه.(١٦)
٧ ـ ومن يعظّم شعائر اللّه فإنّها من تقوي القلوب لكم فيها منافع إلي أجلٍ مسمّى. (١٧)
٨ ـ الحجّ أشهرٌ معلوماتٌ. .. وتزوّدوا فإنّ خير الزاد التقوى(١٨)

إن تكثيف الإضاءة على فلسفة الحج، وحكم ممارسة الشعائر المرتبطة به، هو أسلوبٌ متميز في بناء الإنسان وتربيته وصياغة تصوّراته صياغةً تجمع بين طياتها روح التعبّد

والتعقّل معا من دون أن يسلُبَ التعقُّلُ روحَ التعبّد من الإنسان العاقل، وإنّما يتسامى بتقواه ليبلغ مرتبة أُولى الألباب، فيتكامل عقلاً ويتسامى روحا، وهو يمارس هذه الشعائر بوعي وجدٍّ واهتمام .

ويمكن تلخيص هذه الأهداف التي نصّ عليها الكتاب العزيز فيما يلي:

١ ـ ذكر اللّه وحده في كلّ حال ومجال وعلى كلّ شيء، واجتناب رجس الشرك على كلّ المستويات تصوّرا واعتقادا وتعلّقا وسلوكا .

٢ ـ تنمية روح التقوى التي بها فلاح الانسان وفوزه على أُسس التوحيد الخالص .

٣ ـ الانتفاع من موسم الحج وشعائره على شتّى الأصعدة: اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا فضلاً عن التكامل الثقافي في مثل هذا الموسم الفريد، والتسامي الروحي والمعنوي في جميع لحظات هذا الموسم .

ويتفرّد القرآن الكريم بأسلوبه الخاصّ لبيان قوانينه وأحكامه بيانا يتناغم مع منطق العقل ومنطق العاطفة، ويجمع بين متطلّبات العقل، متطلّبات الروح معا .

قال تعالى:

١. وللّه على الناس حجّ البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإنّ اللّه غني عن العالمين.(١٩)

٢. وإذ جعلنا البيت مثابةً للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلّي.(٢٠)

فاللّه سبحانه ـ الذي له المولوية المطلقة وله الخلق وحقّ النعمة على جميع الناس ـ يجعل أداء هذا الواجب أداءً لحقّه، والإعراض عنه كفرانا للنعم الإلهية وكفرا عمليا بالمنعم، ولا يكون أداؤه تلبية لهذا الحق لحاجةٍ منه تعالى إلي أعمال عباده، بل يعود نفعه إلي الناس أنفسهم. ومثل هذا القانون الذي ينطلق تشريعه للناس من مصالح العباد أنفسهم، ولا يكون للمشرِّع فيه أي غرض أو مصلحة شخصية، لا يجد الانسان الطائع في أدائه ثقلاً وحرجا مهما كانت صعوبته..

ويأتي الاهتمام ببيان الجذور التاريخية العريقة لهذه الشعائر معلما من معالم المنهج القرآني؛ لإرساء قواعد هذه الفريضة في المجتمع الإسلامي .

إن رفع إبراهيم وإسماعيل عليهماالسلام لقواعد البيت يشير إلي أن بيت اللّه الحرام قد سبق وضعه للناس عصر إبراهيم الخليل عليه‌السلام، والاهتمام ببيان دور إبراهيم عليه‌السلام وإسماعيل عليه‌السلام في تشييد دعائم هذا البيت العتيق وأمره بأن يؤذن في الناس بالحجّ بعد تشييد دعائمه .

واستمرار الناس في إقامة شعائره كرمز من رموز الحنيفية .. لَدليل علي أهمية بيان الجذور التاريخية لهذه الفريضة المباركة، ومدي تأثير ذلك في إرساء قواعد الحركة التصحيحية والتكاملية، التي خطاها القرآن الكريم باتجاه تعميق هذا التيار في المجتمع الإسلامي الفتي .

أهل البيت عليهم‌السلام على خُطى القرآن الكريم

لم يتخطّ أهل البيت عليهم‌السلام هدى القرآن الكريم في سيرتهم وسنّتهم، التي هي تجسيد وامتداد لسنّة الرسول العظيم .

إنّ ما تضمّنته مصادر السيرة والتاريخ فيما

يخصّ تعامل أهل بيت الوحي مع الحج في مجال العمل والتطبيق، لا يقلّ روعةً وعظمةً عمّا تضمّنته كتب الحديث من نصوصهم الكثيرة حول الحج ومعالمه وفلسفته وتأريخه، وشكله ومضمونه وترامي أبعاده وعمق عرفانه، وتجلية الجانب العبادي فيه . الحجّ في سيرة أهل البيت عليهم‌السلام و نصوصهم

لقد تميز الحج في سيرة أهل البيت عليهم‌السلام العملية، وتميزت سيرتهم في مجال الاهتمام بالحجّ حتي ورد أنّ عبّادا البصري لقي الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه‌السلام في طريق مكة فقال له: يا علي بن الحسين تركت الجهاد وصُعوبته، وأقبلت علي الحجّ ولينه إنّ اللّه عزّوجلّ يقول: إن اللّه اشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنّة يقاتلون في سبيل اللّه ...؟!

فقال علي بن الحسين عليه‌السلام: أتمّ الآية. فقال: التائبون العابدون... الآية. فقال علي بن الحسين عليه‌السلام: إذا رأينا هؤلاء الذين هذه صفتهم، فالجهاد معهم أفضل من الحجج.(٢١) أو قال: إذا ظهر هؤلاء لم نؤثر علي الجهاد شيئا.(٢٢)

وقد حجّ الإمام الحسن السبط خمسا وعشرين حجّة ماشيا علي قدميه، وكانت النجائب تقاد بين يديه. وسُئل عن كثرة حجّه ماشيا فأجاب: إنّي أستحي من ربّي أن لا أمضي إلي بيته ماشيا على قدمي.(٢٣)

ونقل مثل هذا عن الإمام أبي عبداللّه الحسين عليه‌السلام أيضا.(٢٤)

وأمّا زين العابدين (علي بن الحسين عليه‌السلام) فقد كان ملازما للحج منذ صغره، وكان يحجّ ماشيا وراكبا، وكان يدعو إلى تكريم الحجّاج إذا قدموا من بيت اللّه الحرام قائلاً: استبشروا بالحجّاج إذا قدموا وصافحوهم وعظّموهم، تشاركوهم في الأجر قبل أن تخالطهم الذنوي.(٢٥)

وكان إذا أراد السفر إليه بيت اللّه الحرام احتفّ به القرّاء والعلماء، حيث إنهم كانوا يكتسبون منه العلم والعرفان والحِكم والآداب حتي قال سعيد بن المسيب: إنّ القرّاء كانوا لا يخرجون إلي مكة حتي يخرج علي بن الحسين، فخرج وخرجنا معه ألف راكب.(٢٦)

وكان يهتم عليه‌السلام بسنن الحج بشكل كبير، ويقبل علي اللّه تعالي بكلّ إخلاص وخشية حتي إنه كان إذا أراد التلبية عند عقد الإحرام اصفر لونه واضطرب، ولم يستطع أن يلبّي، فقيل له: مالَك لا تُلبي؟ فيجيب وقد أخذته الرعدة والفزع من اللّه: أخشي أن أقول: لبيك فيقال لي: لا لبّيك .

وكان إذا لبّي غشي عليه من كثرة خشيته من اللّه، وسقط من راحلته، ولاتزال تعتريه هذه الحالة حتي يقضي حجّه(٢٧)

وهناك ظاهرتان مهمّتان في سيرة أهل البيت عليهم‌السلام في حجّهم:

الأُولى: ظاهرة كثرة الدعاء وشدّة الإقبال علي اللّه تعالي بالأدعية الطويلة الزاخرة بالمفاهيم التربوية والمعرفية العالية مثل دعاء الإمام الحسين عليه‌السلام المعروف بدعاء عرفة، ولعلّه أطول دعاء من نوعه، ويناظره دعاء الإمام زين العابدين في الصحيفة السجّادية الخاص بيوم عرفة أيضا .

قال بشر وبشير الأسديان: كنّا مع الحسين بن علي عليهماالسلام عشية عرفة فخرج عليه‌السلام من فسطاطه متذللاً خاشعا، فجعل يمشي هونا هونا حتي وقف هو وجماعة من أهل بيته وولده ومواليه في ميسرة الجبل مستقبل البيت، ثم رفع يديه تلقاء وجهه كاستطعام المسكين وقال:

الحمد للّه الذي ليس لقضائه دافع، ولا لعطائه مانع، ولا كصنعه صنع صانع، وهو الجواد الواسع... .

وممّا قال بعد أن دعا طويلاً وكانت دموعه قد جرت علي سحنات وجهه الشريف:

اللهم اجعلني أخشاك كأني أراك، واسعدني بتقواك ولا تشقني بمعصيتك وخر لي في قضائك وبارك لي في قدرك، حتي لا أحبّ تعجيل ما أخّرت ولا تأخير ما عجّلت، اللهم اجعل غناي في نفسي واليقين في قلبي والاخلاص في عملي...

الثانية: ظاهرة العرفان العميق

لهذه الفريضة، وتجاوز مظاهرها باتجاه باطنها، والغور في أعماقها، فلكلّ عمل ظاهر وباطن، ولكل شعيرة مظهر وواقع، وبالرغم من أنّ الاهتمام بمظاهر الحجّ يحقّق أهدافا جُلّي، وقد دعا الأئمّة عليهم‌السلام المسلمين إلي الاهتمام بهذه المظاهر، ولكن الأئمّة أنفسهم لم يقفوا عند حدود المظهر، بل كانوا لا يعتبرون الحجّ حجّا إلاّ إذا نفذ الانسان إليه أعماقه.

وهناك نموذج ممّا أثر عن الإمام زين العابدين عليه‌السلام في هذا الصدد، وذلك في حديثه مع الشبلي بعد أن حجّ والتقي بالإمام عليه‌السلام.(٢٨)

الهوامش:

(١) السيد محمد باقر الحكيم: الفكر الإسلامي، العدد ١١، ص١٠ (دور الشعار في النظرية الاسلامية).
(٢) الحج: ٣٤ .
(٣) الحج: ٣٦ .
(٤) الحج: ٣٠ .
(٥) الحج: ٣٢ .
(٦) آل عمران: ٩٦
(٧) آل عمران: ٩٧
(٨) البقرة: ١٢٥
(٩) المائدة: ٩٧
(١٠) الحج: ٢٧ .
(١١) الحج: ٣٤ .
(١٢) الحج: ٣٦ .
(١٣) الحج: ٣٧ .
(١٤) الحج: ٣٧ .
(١٥) الحج: ٢٧ .
(١٦) الحج: ٣٠ .
(١٧) الحج: ٣٢ .
(١٨) البقرة: ١٩٧ .
(١٩) آل عمران: ٩٧ .
(٢٠) البقرة: ١٢٥ .
(٢١) وسائل الشيعة ١١: ٣٢ الحديث ٣ و ٦ .
(٢٢) المصدر نفسه .
(٢٣) حياة الإمام الحسن بن علي ١: ٣٢٧ ـ ٣٢٨ .
(٢٤) حياة الإمام الحسين بن علي ١: ١٣٤ .
(٢٥) حياة الإمام زين العابدين عليه‌السلام ١: ٢٢٦ .
(٢٦) المصدر ١: ٢٢٧ .
(٢٧) المصدر ١: ٢٢٨ .
(٢٨) راجع العدد الرابع من مجلة ميقات الحج، للاطلاع علي تفصيل الحديث .

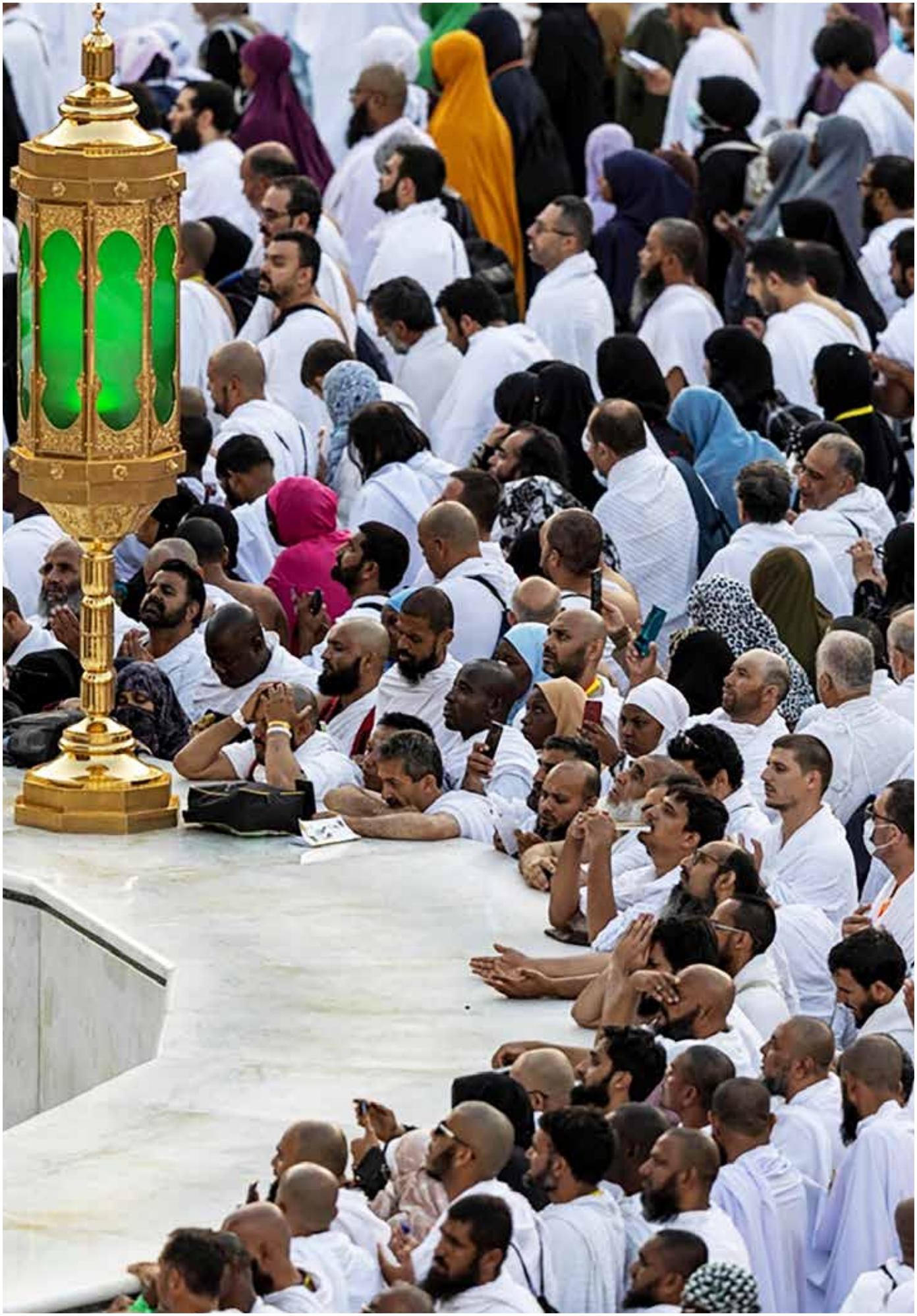

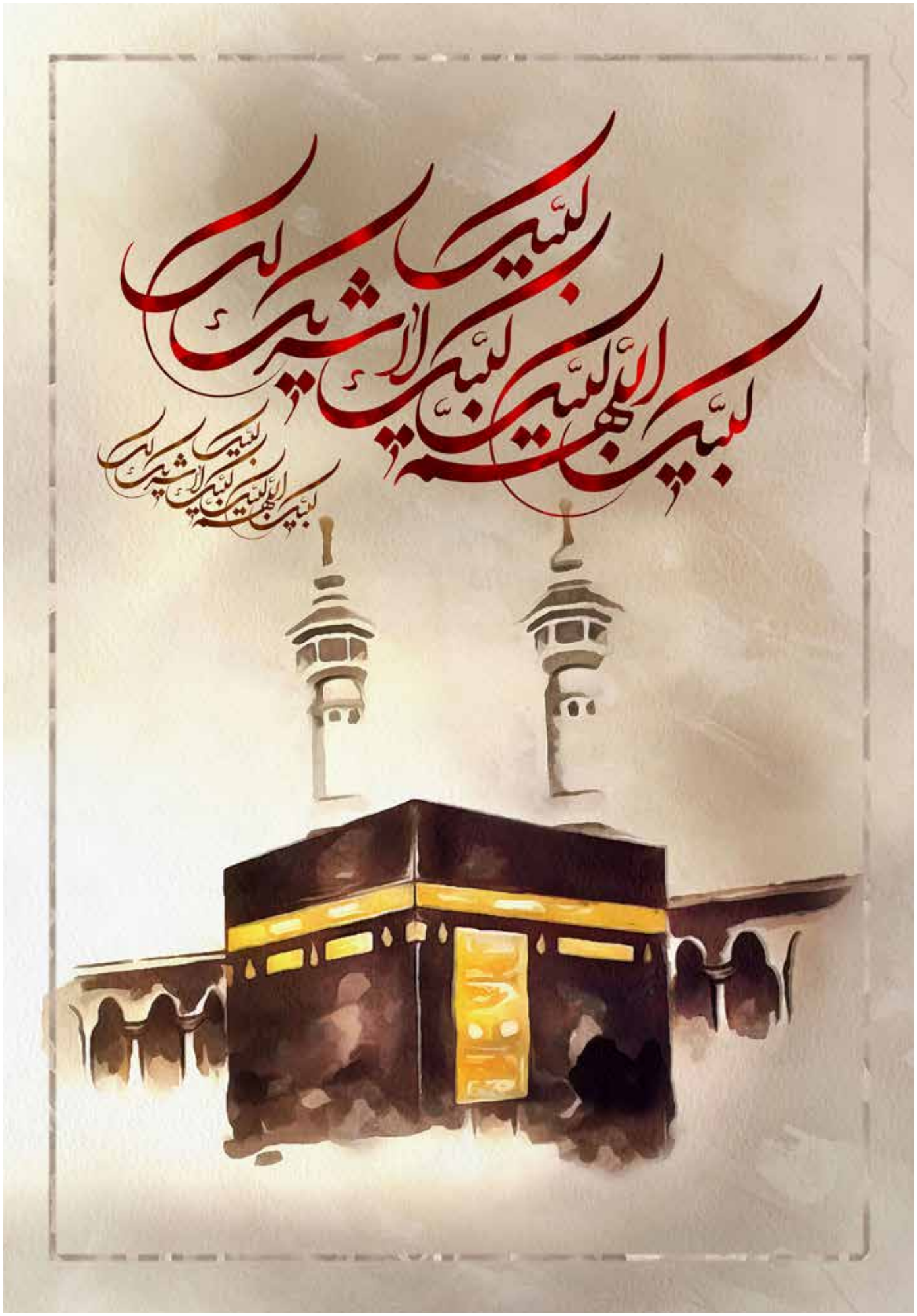
لبیک اللهم لبیک لبیک لا شریک لک